طبيعة تحتضر

و

منقذ على الطريق

قصة أدبية

حول

الإمام المهدي

رياض الأيراهيم

الطبعة الثانية

طبيعة تحتضر

و

منقذ على الطريق

تأليف:

رباب الإبراهيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلّف

هوية الكتاب

الكتاب ..... طبيعة تحتضر و منقذ على الطريق
المؤلف ..... رباب الابراهيم
الناشر ..... مهدی یار
تاریخ النشر ..... ۱۴۲۷ هـ ـ ۲۰۰۶ م
الطبعة ..... الأولى
تعداد النسخ ۱۰۰۰
المطبعة ..... محمّد

شابک: ۳ ـ ۸۵ ـ ۷۶۴۳ ـ ۹۶۴ ISBN 964 - 7643 - 85 - 3

قصة أصلية

طبيعة تحتضر

و

منقذ على الطريق

تأليف

رباب الأبراهيم

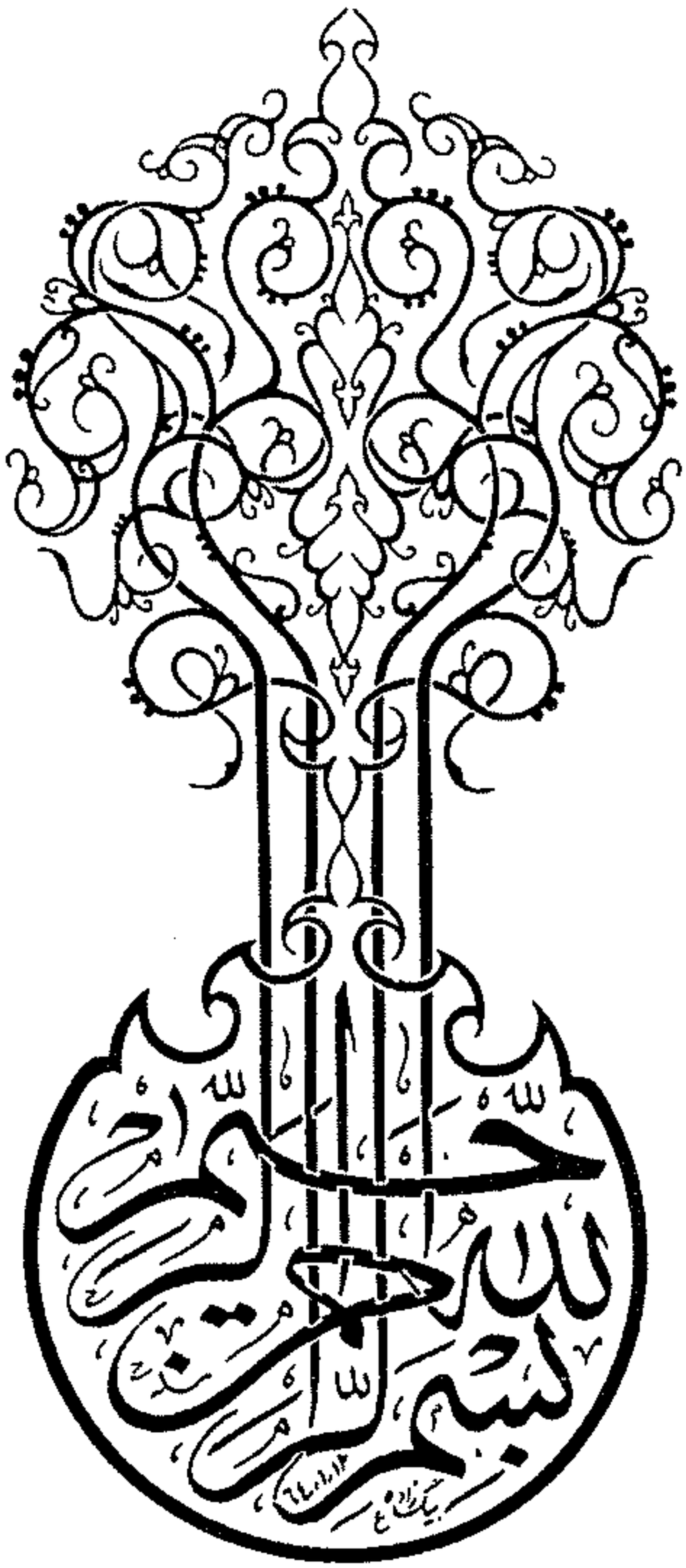

طبيعة تحتضر و منـــقذ على الطريق ٧

بداية الكتاب

ارتسمت معالم الرعب .. و افترش الجزع جناحيه ..و جمعت الشمـــــس آخر شذرات أشعتها ..و حلّ الوجوم في وجود آدهم .

فسمعت عند ذلك فحيح حيّةٍ رقطاء تحت سنديانةٍ حزينةّ .. تنفث السم على الأرض لتموت الزهور خيفة أو فزعاً.. فملأ الرعب عيني و أنـــا أتحسس أديم الأرض و هي تحتضر تحت قدماي .

و توقفتُ كالتمثال أنظر ما حولي بذهول مطبق .

و السكون يزيد من فزعي و أنا أنظر إلى دموع تلك الأحـــراش البريئـــة وأعمدة الأشجار الباسقة تهتزّ خوفاً من الرزية العظمى .. و كأنني أسمـــع عويلاً من تحت الأرض ينادي متوسلاً :

« ألا مِنْ ناصرٍ ينصرني ، أو من منتشلٍ فينقذني »

و يأخذني الوجل .. و تدور من حولي الدنيا ..و أنا قابعة وسط شبـــاك نفسي ..ثم أصرخ بفزع .. و الرجاء يعتريني :

إنّني أسمعك .. وأرى المأساة تجري من عروقك فما أنـــــا إلاّ نديمـــك في مناجاتك .

و لكن هلّمي لنصرخ معاً .

إننا ندعوك أيها السّيد الأشم يا صاحب الفرس الأبيض ذات الأجنحـــــة الملائكية ..

أيها المنقذ الثائر الذي بك سيحيي الله آية ذكره .

يا من نشعر بالأمان حينما نلهج باسمك .. أين أنـــــت .. أيـــها المـــراد المنشود .. لتقلنا إلى ساحل دولتك فنرغد تحت فيئك .

هُلمّ و انتشلنا .. فها نحن بانتظارك .

رباب الإبراهيم

١٩٩٧/٧/١

ماء براق و فتاة ثرثارة

حقيقة لم تدرك

﴿ ماء يراق وفتاة تؤسر ﴾

ملاك فتاة يانعة في الثامنة عشرة من عمرها حسنة الطلعة والمظهر وتحمل روحاً شفافةً نقيةً .

و لكنها في ذلك اليوم لم تكن كعادتها فقد توسطت القاعة حينما جلست و هي سابحةً بأفكارها إلى جنب صديقتها سعاد ، وكانت صامتة يبـــدو عليها التعب الشديد ثم وضعت يديها على الطاولة وضمت رأسها إليـــها دون أن تنبس ببنت شفة ..ونظرت إليها سعاد نظرة تعجب وعطف لأنها ما اعتادت أن ترى صديقتها التي كانت كالفراشة الجميلة التي تحوم حول الأزهار بهذا الوضع الذي يثير الاستغراب .لقد خلت القاعة من صـــوت ملاك الملائكي الرقيق وغابت ابتسامتها العذبة مع طلعتها الصبيحة عـــن صديقاتها اللائي تجمعن حولها وهن يلاطفنها علّهن يعرفن السبب الـــذي جعلها بهذه الكآبة الواضحة .

و لم تتجرأ واحدة و لا حتى سعاد المقربة لها بسؤالها عما يجول في خاطرها لأن ملاك كانت تلك الفتاة الأنيقـــة المحبوبـــة والمهذبـــة لـــدى جميـــع الطالبات ومستودع لأسرار الكثيرات من صديقاتها ..بل كانت من اللاتي يوجهن النصائح المهمة والمفيدة لمن أراد النصيحة .

والتزمت ملاك السكوت واكتفت بتنهداتها التي كانت تســـمع ممتزجـــة بالكلمات الطيبة المنبعثة من مشاعر وأحاسيس صديقاتها .

وفجأة سكت الجميع حينما طرق بـــــاب القاعـــة ..وبعـــد لحظـــات دخل الأستاذ أحمد في الخمسين من عمره يرتدي نظاره طبية .. اختلـــط بشعره الأسود بعض الشيب فزاده وقاراً وهيبة .. كان يحمل بين يديـــه عدة ملفات وبعض الكتب ..ثم أدى تحية الصباح ..و تعجبـــت ســعاد حينما رأت صديقتها مازالت مغطية لوجهها وكأنها نائمة.فاقتربت مـــن أذنها وهمست قائلة:

ملاك ..ملاك . لقد حضر الأستاذ الكل واقف عداك أرجوك استيقظي .. ولكنها لم تستجب لندائها .

جلس الأستاذ على كرسيه المخصوص ثم قال :

سنكمل بحثنا اليوم فأرجو.....

هنا قاطعه صوت من آخر القاعة مستفسراً :

أستاذ المعذرة لدي سؤال هل أستطيع أن أطرحه ؟

فأجابها : بكل سرور يا ابنتي .

ـ هل يحق لشخص ما وهو بين جمع من زميلاته أن تحتفظ إحداهن لمدة من الزمن بما يؤلمها وكانت من قبل حمامة السلام البيضاء بـــين هـــذا الجمع . فهل استفسارنا عن إباحة ذلك المكنون هو خـــلاف الأدب ؟

الأستاذ: بالطبع لأن لكل إنسان خصوصياته وأسراره وهو خبير بمصلحته أين يبوحها ومـــتى يســترها هكـــذا علمتنـــا الأخـــلاق الحميـــدة .

وهنا انتبهت ملاك لهذا الحوار وأدركت أن الأمر كان بخصوصها فرفعت رأسها متثاقلة وفتحت عينيها الأرقتين وقالت : أرجو المعذرة يا ســـيدي الأستاذ مما أنا فيه .. إن الذي تفضّلت به هو بمنتهى الصحـــة لأن لكـــل

إنسان أن يحتفظ بأسراره الخاصة ..و لكنني يا أستاذ لا أسرار لدي ولكنّ بحثكم السابق هو الذي خلق لي هذه الحالة .

وتعجب الأستاذ من كلام ملاك وخلع نظارته ثم تمشى عـــدة خطـــوات مستفهما :

وأي بحث تقصدين يا ابنتي الذي سبب لكم هذا الأرق ؟

فأجابت بتمهل :لاشيء سوى إنه أثار في خاطري عدة صـــور وأنـــت تتحدث عن تلك الفترة المرة التي مّر بها وطننا الحبيب وترآءت لي أعظـــم حادثة مرت بي خلال حياتي كلها وبالأخص حينمـــا وصـــل حديثكـــم عن المناضلين والمجاهدين الذين سطروا أسمى الملاحم بدمائـــهم الزكيـــة وحطموا قوة ذلك العدو المتغطرس من أجل الدفاع عن حرمات الوطن..

وهنا استحوذت عليّ تلك الخاطرة و لم تترك لي حواسي كي أتوجـــه إلى محاضرتكم ..

و إلى هذه الساعة و يا ليتني يا أستاذ كنت أملك قلم الكتاب كي أصوّر ما خالج روحي في تلك الفترة .

وأخذت ملاك **بتصوير أحاسيسها و تعظيم وتكبير ما تريـــد أن تبينـــه للآخرين** وهي لا تعرف كيف تعّبر عن الحدث الـــذي ســـيطر علـــى أعماقها .

فقاطعتها شيماء بلهجة شديدة قائلة :

لم نتعود منك يا ملاك هذه الأخلاق ..لقد شوقتينا لمعرفة ذلك الحادث .

أرجوك انظري إلى زميلاتك إنهن متألمات لأجلك .

فردّ الأستاذ على شيماء قائلاً :

لا تصّري على إباحة شيء هو ملك لها ..الرجاء اتركي ملاكوما تريد .

فتقول ملاك وفي صوتها حزن : الحدث يا أستاذ يوم كانت أرض الوطن سوداء غائرة بدخان كثيف إذ كنت أحمل قربة ماء قد أتيت بها من مكان بعيدٍ حيث قطع الماء عن كل الدور وكان أبي مريضاً وهو بأمس الحاجـــة إلى جرعة ماءٍ . ولم يكن لأبي غيري حيث أخوتي في الخارج .

وعندما تراءت لي دارنا من بعيد وأنا فرحةً لإيصال ذلك الماء لأبي المحموم وإذا بمجموعة من جنود العدو أحاطوا بي لتصورهم إن الذي أحمله سلاحاً أو عتاداً للمجاهدين وسمعت قائلاً منهم يقول :

قوموا بأسرها إنها جسرٌ موصِلٌ للمجاهدين .. وهنا يا أستاذ آيست من الحياة وأنا بنتٌ بمقتبل العمر تخرج بهذا الجو الحربي لا يفسّر لهم سوى إنني فعلاً من المجاهدين الذين أبادوا الكثير من هؤلاء الجنود وسلّمت أمـــــري لخالقي بعد أن ارتعد بدني وسيطر الخوف على كياني وأنا لا أجد لي نصيراً وبقيت واقفـــة دون أن أبـــدي مقاومـــة وإن لم يكـــن في المـــاء حياة لوالدي لم أغادر مترلي-وتوجّهت عيناي نحو السماء أطلب العـــون والنجاة ثم سلبوني القربة و رموا بها ليعلموا ما إذا كان بداخلها سلاح أو عتاد **وامتصت الأرض اليابسة الماء وهم** يضحكون مني ويســـخرون وأنا أرتجف فحاولت أن أغمض عيني كي لا أرى حيـــاة أبي وحيـــاتي تراق مثل هذا الماء .

وبهذه اللحظات الحساسة وإذا بصوتٍ عالٍ يحمل في طيّا ته من القـــوى الإلهية التي تحبس أنفاسي لأنني لا أستطيع تمثيلها لكم ومهما مّرت علـــى مخيلتي ينتابني ذلك الشعور الحقيقي بنجاتي .

ففتحت عيناي على خوف وحذر لأرى أمامي صورة شاب أسمر اللـــون كث اللحية والشارب طويل القامة شجاع الروح وهو يصرخ :

﴿ إن كنتم رجالاً فهلموا إلي ﴾

فتركني الجنود وتوجّهوا إليه برشاشاتهم العنيفة لتصورهم أنهم ســيغلبونه بجمعهم وكان تصوري هذا أيضاً وخفت أكثر فأكثر حينمـــا تخيّلتـــهم كيف سيقطّعون أعضاء هذا الشاب إربا إربا لكنني جهلت سلاحه القوي الذي جعل من الأعداء يفرون من بين يدي هذا الشاب الشـــهم النبيـــل والهلع يلازمهم وهم يرونه .

فقال الأستاذ متعجباً :**وما هو هذا السلاح الذي صنع هذا النصر على هؤلاء المدججين بأحدث الأسلحة ؟**

﴿ حقيقةٌ لم تدرك ﴾

فقالت ملاك بصوت روحي عميق :

إنه سلاح رهيب لم أر مثله من قبل و لم أعلم معناه إلى هذه اللحظة .

ثم سكتت هنيهة وأردفت بهدوء : إنني أخشى أن أستهين بذكرها .

ثم قالت بإحساس خاص وصوت رقيق **﴿ يا مهدي أدركني ﴾**

﴿ يا مهدي أدركني ﴾ !

لكن يا أستاذ بهذه الكلمات كأنه استغاث بجيشٍ جبّارٍ عظيمٍ .

وبعد أن دخل الرعب في قلوبهم واستحوذ على عقولهم الذاوية وكأنما قوة غيبية كبرى قد سحقتهم وولّوا الأدبار وتناول الشاب ســـلاحه البســـيط

وأطلق النار على ثلاثةٍ منهم أرداهم قتلى وفر الآخرون فزعـــين فـــرار الجبناء ثم ناولني الشاب قربةً أخرى من الماء وهو مطـــأطئ رأســـه نحـــو الأرض وقال لي :

أسرعي إلى دارك ولا أريد أن أراك خارجة بعد الآن .

هنا امتلأت مقلتا ملاك بالدموع ..وسكتت وهي تعالج آلامها الروحية .. وعيون الجميع كانت تضمها بعواطفهم وبهذا خلقت جواً خاصـــاً مليئـــاً بالأمل المتردد على الشفاه بين الطالبات والأستاذ يرتّل هذه الكلمات :

﴿ يا مهدي أدركني ﴾!﴿ يا مهدي أدركني ﴾ !

وقد امتلكه العجب والتعطش إلى ما لا تدركه قلوبهم من هذا الشعار .

و انتقلت الكلمات إلى باقي الحناجر لتكون شعاراً بين الطالبات و أخذت هذه الكلمات تدبّ في القاعة على شكل همس يخرج من الأعمـــــاق إلى حيّز الوجود ﴿ **يا مهدي أدركني** ﴾ .

وانهمرت دموع ملاك على خديها وهي تقول :

إن لم يكن ذلك المخلّص يا أستاذ لحل بنا الدمار والضيـــاع وإلى الأبـــد ولمات والدي ولأريقت حياتي كإراقة هذا الماء .

وينهي الأستاذ الجلسة ويبدأ بشروع الدرس المعين وهكذا ينقضي هـــــذا اليوم وملاك لا تستطيع حل هذا اللغز الذي أحاط شبحه بكيانها .

أجبال تلهج باسمك فمن أنت ؟

آمنوا بالمنقذ و لم يعرفوا اسمه

﴿ أجيال تلهج باسمك فمن أنت ؟ ﴾

دخل الأستاذ أحمد القاعة فإذا بملاك تستقبله بتحية الصباح وفي عينيـــــها بريق الأمل ليخلّصها مما هي فيه بجوابه المرتقب لجلسة أمس .

وأدرك الأستاذ ذلك المعنى من طالبته فأخرج لها من ملفه صفحـــةً وهـــو يقول لها مبتسماً :

قضيت ليلي ساهراً لأجلك كي أعدّ لك هذا الموضوع ولا أريد أن أمـــنّ عليك به لأنك كابنتي و أريد معرفة تلك القوة أيضًا لأنني سمعـــت بهـــذا الشعار أيام الاحتلال كثيراً والأعجب من ذلك أن أكثر المنادين به هـــــم أصحاب الدراسات العليا فاستبعد من أن يكون خرافة متداولة بين الآباء والأجداد ..

لذا ذهبت البارحة إلى مكتبة صديقي البحاثة وتناولنا البحـــــث في هـــذا الموضوع فقام وأتى إلي ببعض الكتب للديانات والعقائد المختلفة فســـألته مستفسراً :

أين هذه الكتب من ذلك الشعار ؟

فأجابني إن المخلّص لم يحل في وطننا فقط بل هـــو أينمـــا حـــلّ الظلـــم والاضطهاد وإن أطلق عليه بأسماء متعددة.وفكرة ظهور مصلح ينقذ العالم كله من براثن الظلم والعدوان ويأخذ بأيد الناس جميعاً إلى شاطئ العـــدل والأمان ليست هي وليدة العصر بل إنها عقيدة متماشية جنباً إلى جنب مع الإنسان منذ أقدم العصور .

﴿ آمنوا بالمنقذ ولم يعرفوا اسمه ﴾

يقول ﴿جولدزيهر﴾المستشرق اليهودي والمتعصب عن عالمية الانتظار عند الأمم المختلفة لظهور المنجي الكبير :

لا يختص الاعتقاد بعودة وظهور المنجي الموعود بالإسلام فقط وبإمكاننـــا أن نجد أفكاراً مشابهة لدى الأمم الأخرى كثيراً.كما يعتقد الهنـــدوس أن **و يشنو** وهو راكب على جوادٍ أبيض وبيده سيف من شعلة النار يظهر في نهاية هذه المرحلة العالمية بوصفه ﴿ كال كي ﴾ ويخلّص بلاد آريا من يـــد الغاصبين الظالمين كذلك شاعت بين المغـــول في أذهـــانهم وتخيلاتهـــم وتاريخهم القديم أنه سيظهر رجل يخلّصهم مـــن العـــذاب وعندمـــا رأوا جنكيزخان ظنوا أنه هو المنجي الموعود .

وهنا سألت ملاك : **وماذا عن اليهود والنصارى** يا أســـتاذ أيعتقـــدون بوجود مصلح أيضا ؟

الأستاذ : نعم فاليهود والنصارى يقولون بأن وجود المصلح حق فقلوبهـــم متلهفة وصدورهم حرى في انتظار الحكومة العادلة القائمة على أســـاس العدل والإنصاف **وكذلك عند الزردشتيين وغيرهم من الملل والنحـــل كالهنود** حيث جاء في كتاب ﴿ **ديد** ﴾ وهو من أعظم كتبهم الســـماوية

إن المصلح يظهر في آخر الزمان ليأخذ بزمام إمامة الخلق ويسلك المسلك الحق وكذلك ورد ذكر ذلك في كتابي ﴿ **باسك وباتيكل** ﴾ وهما مـــن أمهات كتبهم المعتبرة .

ثم صمت الأستاذ هنيئة والتقط أنفاسه ثم عاد ليكمل قائلاً :

إذن فهي فكرة طالما اتجهت إليها نفوسهم وتطلّعت نحوهـــا أفئدتهـــم في من يكون هذا المصلح المنقذ. **وجاء في قاموس الكتاب المقـــدس** حـــول شيوع هذا الشوق بين اليهود كان العبريون ينتظرون قدوم المسيح جيـــلاً بعد جيل وتكرر الوعد بمجيئه في الزبور وكتب الأنبيـــاء بـــالخصوص في ﴿ **أشعيا** ﴾ حتى جاء يحيى وبشّر بقدومه لكن اليهود:لم يفـــهموا تلـــك النبوءات وكانوا يتصورون أن المسيح سيكون سلطان الزمان وينجيهم من جور الظالمين ويرفعهم إلى أعلى درجات المجد والجلال .

وهنا تدخّلت شيماء قائلة : **وما رأي الفلاسفة والعباقرة من العلماء في هذا الرأي ؟**

الأستاذ : إن قسماً كبيراً من عباقرة العلم و فلاسفته يعتقدون أن العـــالم في انتظار مصلح يأخذ بزمام الأمور ويوحّدهـــا تحـــت رايـــةٍ واحـــدةٍ وشعارٍ واحدٍ .

يقول العلامة انشتاين ﴿ صاحب النظرية النسبية ﴾ إن اليـــوم الـــذي يسود العالم كله الصلح والصفاء ويكـــون النـــاس متحـــابين متـــآخين ليس ببعيد .

أما **الفيلسوف الإنكليزي** ﴿ **برتراندراسل** ﴾ يقول إن العالم في انتظـــار مصلح يوحّد العالم تحت عَلَمٍ واحدٍ و وشعارٍ واحدٍ ، ويستطرد قـــائلا : إنها قريبة الوقوع .

وهنا سألت ملاك : **ولكن أين الذي خلّصني لم أر له إسماً من بين هؤلاء الذين ذكرتهم ؟**

فابتسم الأستاذ قائلاً : لا تتسرعي يا ملاك فإني سأذهب هذه الليلة عنـــد صديقي وأكمل بقية البحث و أرجو من الله التوفيق والنجـــاح في هـــذا الأمر .

السماء تفصح باسم المنقذ

لأجلك ألفوا

﴿ السماء تفصح باسم المنقذ ﴾

في اليوم التالي جاء الأستاذ وقد توصل إلى معرفة أمورٍ في غاية الأهمية ..
استقبلته ملاك بابتسامتها المعهودة وعينيها الحالمتين وقالت : أهلا بك يـــا أستاذي هل توصلّت إلى الحقيقة التي نبحث عنها ؟

فأجابها الأستاذ : نعم يا ابنتي ولكن قبل أن أكشف الستار عن اسم المنقذ سأقرأ ما جاء في ﴿**سفر الرؤيا** ﴾ عن هذا الشخص العظيم .

فجلست ملاك وهي تنصت بكل حواسها بينما بدأ الأستاذ حديثه قائلاً :

لقد جاء في **سفر الرؤيا** أن القائد الذي سيخوض معارك أخر الزمان اسمه الآمين الصادق وانه هو الذي يقضي ويحارب بالعدل . [1]

---

[1] قال أحد علماء أهل السنة :

ويقابل هذه الصفات في سفر الرؤيا امرأة متسربلة بالشمس و القمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من أثنى عشر كوكبا ولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد .

قالوا في التفسير إنها امرأة فاضلة وقور و يأتي النسل من هذه المرأة و إن نسل هذه المرأة سيواجه المخاطر , والتنين سيقابل باقي نسلها الذين يعملون بوصايا الله . والإكليل الذي على رأس المرأةإشارة للقيادة الأثنى عشر كوكباً هم أسماء الرسل .و فسرت هذه المقولة من أن المهدي من ولد فاطمة وأنه آخر قادة الزمان فمن الطبيعي أن يكون جميع اخوته هم المذكورين عند أهل الكتاب أي أصحاب الشجرة الواحدة التي خرجت من المرأة المتسربلة بالشمس و القمر , فإذا كانت بعض التفاسير قد أشارت إلى الشمس بأنها تمثل والد المرأة و هذا الوالد كالشمس لأنه يملأ الأرض نوراً فيكفي أن نقول :إن والد المرأة هو محمد (ص) وإذا كانوا قد قالوا إن القمر يرمز إلى زوجها لأنه يضيء الليل فيكفي أن نقول إن زوجها هو علي بن أبي طالب ولقد كان بحق قمراً ينير في ليل فتنة هي في الحقيقة أحزنتنا كثيراً وهذه الفتن أدت إلى اضطهاد نسل المرأة و بنظرة واحدة لعلماء أهل الكتاب في كتاب "مقاتل الطالبيين" لأبي الفرج الأصفهاني ستجعلهم يعلمون أن نبوءة سفر الرؤيا التي قالت بأن هذا النسل سيضطهد صحيحة .

توقف الأستاذ عن الكلام وقام من مكانه ووقف أمام الطالبات ثم اكمل قائلاً :

لقد قمت بمراجعة الأحاديث والمصادر الموجودة في الصحاح و الكتـــب المعتبرة وقد حصلت على ما يؤكد هذه الحقيقة نعم **المهدي حق سيظهره الله تعالى ولو كره المشركون وسيملأ الأرض عدلاً و قسطاً بعد ملئها ظلماً و جوراً** وإنني نظرت في أحاديث الفرق الإسلامية فقلّمـــا رأيـــت مسالةً من المسائل كمسألة المهدي من حيث استفاضة الأحـــاديث فيـــها وتواترها وكثرة رواياتها و تعدّد مخرجيها فالأحاديث الواردة بشأن المهدي ﴿ع﴾ في مختلف تصانيف الكتب لو جمعت لوجدتها تزيد على ثلاثةِ آلاف حديث وكلها تذكر وتشير لمهدي ﴿ع﴾ وإنّ طائفةً كبيرةً مـــن أعـــلام الفكر و أساطين العلم وعلماء الأمة وجهابذتها أخرجوا هذه الأحـــاديث وقالوا إنها مستفيضة ومتواترة و إن الاعتقاد بها من الإيمان .

ومن هؤلاء العلماء **الحافظ العسقلاني في تهذيب التـــهذيب** (ج) ٩ ص ١٤٤ ط حيدر آباد الدكن قال :

وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عـــن المصطفـــى (ص) في المهدي وإنه من أهل بيته وإنه يملأ الأرض عدلاً وإن عيسى ﴿ع﴾ يخـــرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلّي خلفه .

وقال الشيخ **الصبان الشافعي في إسعاف الراغبين** ص ١٤٠ ط الشعبيـــة بمصر : وقد تواترت الأخبار عن النبي ﴿ص﴾ : خروجه وإنه من أهل بيته و إنه يملأ الأرض عدلاً و إنه يساعد عيسى على قتل الدجال بباب ﴿لد﴾ بأرض فلسطين و إنه يؤم هذه الأمة و يصلي عيسى خلفه .. و أيضا من

اعترف بتواتر الأخبار في المهدي **شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمـــــي الشافعي** نزيل مكة المشرفة المتوفى سنة ٩٩٣ في كتابه الصواعق المحرقة ص ١٦٣ ط مصر .

قال أبو الحسين الأجري قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﴿ص﴾ بخروجه و إنه من أهل بيته يملأ الأرض عدلاً و إنه يخرج مع عيسى ﴿ع﴾ فيساعده على قتل الدجال بباب ﴿ لد﴾ بأرض فلسطين وإنه يؤم هذه الأمة ويصلّي عيسى خلفه .

وأيضا الشيخ **مؤمن بن حسين بن مؤمن الشبلنجي الشـــافعي** المتـــوفى عام ١٢٩٨ هجري في نور الأبصار ص١٧١ ط الشعبية بمصـــر ذكـــر هذا التواتر ..

يقول أحد علماء أهل السنة المعروف**بالشوكاني** مؤلف كتاب ﴿**التـــاج**﴾: لو كان للإنسان ذرة إيمان وشئ من الإنصاف لما تردّد في أصالـــة هـــذه الأحاديث وصحّة هذه العقيدة وهي عقيدة دينية في كل الظروف سواء في حالة الرفاه و الراحة أم في المصيبة والخطر **إلا أن الشرط الأساســـي في ظهور المهدي الموعود هو أن يشيع الظلم والفساد وعدم الأمن في العالم وتمتلئ الأرض ظلما وجوراً** .

وكذلك ذكر الشيخ **شهاب الديـــن الدولت أبـــادي** المتـــوفى ســـنة ٨٤٩هجري وله مؤلفات عديدة في التفسير والمناقب وله كتـــابٌ سمّـــاه **هداية السّعداء** وذكر فيه أسماء الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية و ذكـــر أحاديث في أحوال الإمام المنتظر ابن الحسن العسكري وذكر فيـــه انـــه

غائب عن الأبصار وله عمر طويل كما عمّر مثله من المؤمنين عيسى والياس والخضر ، ومن الكافرين الدجال والشيطان .

وكذلك ذكر **شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد الذهبي الشافعي** المتوفى سنة ٨٠٤ هجري فإنه أخرج في كتابه **دول الإسلام** ج ١ ص ١٢٢ طبع حيدر آباد سنة ١٢٢٧ وقال :

بان الإمام المهدي ﴿ع﴾ من أولاد الإمام الحسن العسكري وهو باق إلى أن يأذن الله له بالخروج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا .

صمت الأستاذ وراح يتأمل وجوه الطالبات ليرى وقع كلامه عليهن ثم أكمل قائلاً :

وهناك حديث شريف أخرجه **إبراهيم بن محمد الحموينى الشافعي في فرائد السمطين** ج ٢ باب ٣٥ وهو قوله ﴿ص﴾ إن الله تبارك وتعالى ركّب في صلب الحسن العسكري نطفةً مباركةً زكيةً طيبةً مطهرةً يرضى بها كل مؤمن ممن قد أخذ الله تعالى ميثاقه في الولاية و يكفر به كل جاحد ..

هو إمامٌ تقي نقي سار مرضي هادي مهدي يحكم بالعدل ويأمر به، يصدّق الله عز وجل ويصدّقه الله في قوله يخرج من تهامة حتى يظهر الدلائل والعلامات وله بالطالقان كنوزٌ لا ذهب ولا فضة إلا خيول مطهمة ورجال مسّومة يجمع الله له من أقصى البلاد على عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً معه صحيفة مختومة فيها عدد أصحابه بأسمائهم

وأنسابهم وبلدانهم وصنايعهم و طبائعهم وكلامهم وكناهم كدادون مجدون في طاعته .

﴿ لأجلك ألفوا ﴾

سكت قليلا ثم أردف قائلاً :

بل إن عدداً من علماء المذاهب ﴿رضوان الله عليهم ﴾وحفّاظهم وأئمتهم ألّفوا كتباً خاصةً حول المهدي ﴿ع﴾ و ملؤها بالأحاديث الصحيحة الواردة في صحاحهم بأسانيد معتبرة عندهم منهم العلامة الشيخ **جمال الدين يوسف المقدسي الشافعي السلمي** ﴿من علماء القرن السابع ﴾ ألّف كتاباً خاصاً في المهدي ﴿ع﴾ أسماه ﴿**عقد الدرر في أخبار المنتظر**﴾ .

وأيضا منهم الإمام العالم الكبير المحدث**أبن حسام الدين المتقي الهندي الحنفي** المتوفى ٩٧٥ ألف كتاباً خاصاً وأسمّاه ﴿**البرهان في علامات مهدي آخر الزمان** ﴾ .

ومن هؤلاء العلماء **الحافظ أبي عبد الله محمد بن يوسف النوفلي القرشي الكنجي الشافعي** المتوفى ٦٥٨ هجري كتب كتاباً خاصاً في المهدي ﴿ع﴾ وأسمّاه ﴿ **البيان في أخبار صاحب الزمان**﴾.

ومنهم أيضا الإمام **الحافظ الكبير جلال الدين السيوطي** المتوفى سنة ٩١١ هجري في كتابيه ﴿**العرف الوردي في أخبار المهدي** ﴾ و﴿ **علامات المهدي**﴾.

وهنا تسأل شيماء قائلة :

سماحة الأستاذ **إن بعض الروايات القائلة بهذا المعنى لم تصـــرّح باســـم المهدي وإنما اكتفت بظهور القائد والمخلّص فكيف نحملها ؟**

وهنا يجيب الأستاذ :

إن بعض الروايات لم تصرّح باسم المهدي ﴿ع﴾ إلا أن العلماء حمّلوا هذا القسم الذي لم يصّرح فيه بذكر المهدي لأنها مطلقة حمّلوه القسم الـــذي صّرح فيه بذكر المهدي لأنها مقيدة ومن هؤلاء العلماء الكاتب المعـــروف وهو من علماء السنة **العلامة المودودي في البيانات** ص ١٤١ قال :

قد ذكرنا في هذا الباب نوعين من الأحاديث أحاديث ذكر فيها المـــهدي بصراحة وأحاديث إنما أخبر فيها بظهور خليفة عـــادل بـــدون تصريـــح بالمهدي ولما كانت هذه الأحاديث من النوع الثاني تشابه الأحاديث مـــن النوع الأول في موضوعها فقد ذهب الباحثون إلى أن المراد بالخليفة العادل فيها هو المهدي .

وعندما انتهى الأستاذ من بحثه قامت سعاد صديقة ملاك و هي فتاة مـــن أسرة متدينة تلتزم بحجابها ومظهرها الإسلامي فقالت بصـــوت هـــادئ مؤدب :

أرجو أن تعيرني هذا البحث لأنه سيكون مورد قبول من والدي فهو من محبي المطالعة .

الأستاذ : وماذا يعمل والدك ؟

سعاد : **انه إمام مسجد وخطيب الجمعة و قد تخرج من جامعة الأزهـــر في مصر .**

الأستاذ حسناً يا سعاد ، وقدّم لها البحث ثم قال :

أبلغي والدك عنيّ السلام والتحية .

السرداب بضاعة المغرضين

غاندي بين القبر و الآثار

معول الغلاة مهدم للدين

﴿ السرداب بضاعة المغرضين ﴾

جاء اليوم التالي وما إن جلس الأستاذ في مكانه حتى وقفت سعاد مستأذنة بالحديث ثم قالت : لقد قمت مع والـــــدي بمراجعـــة هـــذه البحـــوث ومصادرها وقد وجدتها مطابقةً تماماً لما جاء بالكتب المذكـــــورة ولكـــني واجهت بعض الصعوبات و ذلك لاختلاف الترقيم للصفحات .

الأستاذ هذا طبيعي يا ابنتي لان الصفحات تختلف باختلاف الطبعات .

وهنا أحست ملاك بالراحة و الطمأنينة لما سمعت من تأييد لكلام الأستاذ من قبل شخص مهم وهو إمام المسجد الأمر الذي شجّعها على أن تقف وتسأل الأستاذ : أرجو المعذرة أريد أن اطلب منك طلبا .

فهز الأستاذ رأسه قائلاً : تفضلي .

فقالت بانفعال بدا واضحاً على وجهها و في نبرة صوتها :

أريد أن ترشدني إلى مكان المهدي أين هو الآن لأقدم له جزيل شكـــــري وامتناني ؟

فتوقف الأستاذ قليلاً ليأتي لها بجواب مناسب حتى لا يجعلها يائسة .

وهنا قطعت سعاد هذا الصمت قائلة : أنا اعلم أين هو يا أستاذ وأنا اقطع انك تعلم مكانه أيضا أليس كذلك ؟

الأستاذ : وأين هو يا سعاد ؟

فردّت سعاد بحماس وثقة : قطعاً في السرداب في العراق وبـــــالتحديد في مدينة الحلة .

ثم وجّهت كلامها إلى ملاك : و إذا أردت أن تريه ما عليك إلا أن تذهبي و تقفي مع أولئك الذين يقفون على باب السرداب و تنادين بمثل ما ينادون به و تأتين بمركب بمثل ما يأتون لعله يكون من نصيبك .

فابتسمت ملاك و قالت : شكراً لك يا سعاد لقد أسديت لي خدمة جليلة .

و هنا سأل الأستاذ مستغرباً : و من أين لك بهذا الكلام يا سعاد ؟

سعاد : هذا ما قاله العلماء الأعلام المعتمد على أقوالهم و منهم ابن خلدون في مقدمته .

و أخرجت من حقيبتها كتاب ﴿مقدمة إبن خلدون ﴾ و أخذت تتصفحه ثم قرأت :

لقد ذكر ابن خلدون في مقدمته ص ١٩٩ ما نصه :

مثله غُلاة الإمامية وخصوصا الاثنى عشرية منهم يزعمون إن الثاني عشر من أئمتهم و هو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه ﴿بالمهدي﴾ دخل في السرداب بدارهم بالحلة ، وتغيّب حين اعتقل مع أمه وغاب هناك و هو يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً ويشيرون إلى ذلك إلى الحديث الواقع في كتاب **الترمذي** في المهدي هم الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك و يقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدّموا مركباً فهتفوا باسمه ويدعونه للخروج ، ثم ينفضّون و يرجئون الأمر إلى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد .

تعالت قامة سعاد والغبطة تملأ قلبها وهي تنظر إلى الأستاذ الذي بدأت الحيرة تعم أسراه ، وانعطفت نظراته نحو الأرض لإخفاء ما يعتريه .. ثم

تنهد بحسرة مقطباً ما بين عينيه ، وتمشى عدة خطوات ثقيلة ثم نظـــر إلى الطالبات يتفحصهن وهو يقول :

لو كان للحديث لسان السمر لمنعت ناقله من متاهة الدهر الذي ستحويه سطور التأريخ .. ولو أن للحقيقة لساناً لتبعتها كل العقول .

إن ذهن العاقل يرى الحقيقة كالشمس التي تقضي على سواد الظلمة لان الشمس لها من الضياء ما يخترق الوجود كله .. فهل مـــن المعقـــول أن يغطيها البشر أو يحويها في مكان .

ثم زفر بشدة و أردف قائلاً :

كثيرون هم الذين يتكلمون كالبحر أما حياتهم فشبيهة بالمستنقعات ، وان الذي ذكرتيه يا ابنتي ما هو إلاّ دسيسة أراد مخترعها تضليل العقول بها عن جادة الحق لغرض التصيد في المياه العكرة .. لان مثل تلك الخرافـــات لا يتبناها إلا ذوو الأحقاد والخبائث التي تنفث الأفيون في عروق الأدمغـــة التي تحب الأحاديث المغرضة ، و إن مانقلتيه إلا نموذجاً للخباثة المضللـــة التي لا يقبلها من يملك عقلاً مدبراً كعقولكم-و أشار بيده إلى الجميع—

لقد قرأت إنه في المناطق الحارة تبنى في البيوت سراديب عميقة ونشـــاهد الآن سراديب كهذه في العراق وخصوصا في النجف و ســـامراء ولازال بعضها موجودا في مناطق مختلفة .

مسألة السرداب في سامراء في بيت الإمام الحسن العسكري ﴿ع﴾ هي من هذا القبيل أوجد في ذلك البيت للوقاية من الحر وفي الحقيقة استفاد ثلاثة أئمة من هذا البيت ومن هذا السرداب أي الإمـــام الهـــادي و الحســـن

العسكري وإمام العصر ﴿عج﴾ ولذلك يقول أحد علماء الشيعـــــة وهـــو السيد **محسن العاملي** في قصيدته الطويلة إلى أن قال :

إلى أن أتى مهديهم فتألبت
على قتله الأعداء يقتادها المكر
وكم رصدت فيه الحوامل برهة
وأخفى عنهم مثل موسى فلم يدروا
وغيب عن لحظ العيون لموعد
به ليس يعرو الشاة من ذئبها نفر
وكان كيحيى أعطي الحكم في الصبا
وذلك فضل الله ليس له حصر
فما أسعد السرداب في سر من رأى
وأسعد منه البيت و الركن والحجر
وما شرف السرداب إلا لأنه
بدار تناهى عندها العز والفخر
تشرف معناها بسكنى ثلاثة
من الآل يستسقى بذكرهم القطر
وقد أذن الباري تعالى برفعها
وذكر اسمه فيها فطاب لها الذكر
وقد كان في السرداب اعظم آية
من الحجة المهدي حار لها الفكر

أرادوا به سوءاً فخيّب سعيهم
وعاقبة البغي الندامة والثبر

صمت الأستاذ برهة ثم أكمل :

وليس هو كما يقولون من أن غيابه كان في السرداب و إنه باق فيـــه إلى يوم خروجه ، و الحقيقة هي غير ذلك بل هو سائح يحل بقـــاع الأرض ويطوف في أرجائها فيحضر المواسم الدينية ويقوم بالشعـــائر و يشـــاهد من يحيا ويموت . و أصدق القول في زيارة الشيعـــة للســـرداب ..أنهـــم يزورونه كجزء من أجزاء بيت مقدس فَلِمَ يُلام الشيعة إذا وقفوا خاشعين لله في منزل عُبد الله فيه بإجلال من قبل أئمةٍ ثلاثـــةٍ ولايـــلام العلمـــاء العصريون و السوقة من السياح والهواة حين يقفون عشرات ومئات أمام تمثال منحوت أصم أبكم أو أمام لوحة زيتية من حبر وورق أو أمام غـــار مهجور فيه عظام نخرة وروائح كريهة أو صخـــرةٍ محفـــورةٍ أو نُصـــبٍ تذكاري ؟

أترى هؤلاء يتأملون عظمة الفن ويمجّدون التمثال والرسام؟والشيعة يرمون بالبهتان إذا وقفوا أمام أضرحة كريمة فيها عبق النبوةوروح الرسالة؟هذا هو منطق غير المنصفين .

وهنا استأذنت شيماء ـــ وهي صديقة أخرى لملاك في الثامنة عشرة مـــن عمرها و تمتاز بشغفها و حبها الشديد للمطالعة و البحوث ـــ و طلبـــت من الأستاذ أن تضيف على هذه المعلومات،ولما سمح لها قالت :

﴿ غاندي بين القبر والآثار ﴾

لقد قرأت يا أستاذي إن في الهند وفي بمبي يحتفظون ببيت غاندي القـــائد الفقيد على حالته السابقة إضافة إلى ذلك فان كل وسائل حياته وعملـــه بقيت محفوظة كما كانت تعرضها على المشـــاهدين بافتخـــار شديـــد و الأروع من ذلك إن **غاندي** قبل موته بشهرين **أو** ثلاثة كان **في نيودلهي** ضيفا في بيت وقد حافظوا على الساحة التي كان يجلس فيها كـــل يـــوم ليتحدث إلى الحاضرين والمكان الذي قتل فيه حفظوه على ما كان عليـــه تماماً .

بل إن محل أقدامه وآثار مشيه حفظت بشكل جميل من غرفتـــه إلى محـــل جلوسه الذي قتل فيه بشكل يعجب كل زائر خاصـــــة بعـــد توضيـــح المرشدين المختصين لكل ذلك .

ولذلك نرى **جواهر لال نهرو الزعيم الوثني** ورئيس الـــوزراء الأســـبق يصّرح لمراسل إحدى الصحف العالمية ويقول :

وعندما أشعر بالمشاكل تضغط على صدري أسرع إلى ضريح غـــاندي فأركع أمامه .

الأستاذ : أحسنت يا شيماء ، نعم ألا يجب أن يحفظ السرداب والبيـــت الذي سكنه ثلاثة من أئمة الشيعة العظام وفيه ذكـــرى طفولـــة الإمـــام الثاني عشر و حياة الإمام العاشر التعبدية و الإمام الحـــادي عشـــر .. ألا يجب أن يكون لذلك المكان قدسية و احترام ؟!!

ولا يوجد أحد من علماء الإمامية يعتقد أن الإمام المـــــهدي محبـــوس في السرداب بل في اعتقاد الجميع إن الإمام في أرجاء البلاد الواسعة و إنـــــه يحضر الحج و يكلّم الناس و يحلّ مشاكلهم وينصب الســـــفراء ويقبـــض الأموال وغير ذلك .

وذلك إن كتب علمائهم مليئة بذكر من تشرف باللقاء مع الإمام الحجة ومن الذين كتبوا في هذا المجال المحدث العظيم ثقة الإسلام **الكليني** وهـــــو من زعماء الشيعة المتوفى سنة ٣٢٨ هجري في كتابه **الكافي** تحت عنـــوان من رأى الإمام وذكر فيه أسامي كثيرة ممن رأوا الإمام الثـــــاني عشـــر ، وكذلك الشيخ **الصدوق** في كتابه **إكمال الدين** و غيرهم الكثير الذيـــن رأوا الإمام في أماكن مختلفة كمكـــة والمدينـــة والكوفـــة وفي بعـــض بقاع الأرض.

فتنهد الأستاذ بشوق ، و قال و في صوته أمل اللقاء :

ـــ اللهم ارزقنا رؤيته . و أردف :

ـــ هذه هي معتقدات علماء الشيعة بإمامهم الغائب ، و على هذا يؤكـــد السيد محسن الأمين العاملي في قصيدته ﴿ مبيناً معتقدات الإمامية بإمامهم الغائب ﴾ بقوله :

ففي شرف السرداب هذا الذي أتى

و في نسبة السرداب هذا هو السر

و ما غاب في السرداب قط و إنما

توارى عن الأبصار إذ ناله الضر

و لا اتخذ السرداب برجا و من يكن
لنا ناسباً هذا فقولته هذر
بلى أمست الدنيا به مستنيرة
و منه على أقطارها يعبق النشر
فكان كمثل الشمس بالسحب حجبت
و من نفعها لم يحرم البحر و البر
وان زهر السرداب بالبدر برهة
ففي البيت من أم القرى يطلع البدر
يبايع ما بين المقام و ركنه
و يعنو له بالطاعة العبد و الحر
فيا للأعاجيب التي من عجبها
مقالة إخوان لنا لهم قدر
لنا نسبوا شيئاً و لسنا نقوله
و عابوا بما لم يجر منا له ذكر
بأن غاب في السرداب صاحب عصرنا
أمسى مقيما فيه ما بقي الدهر
و يخرج منه حين يأذن ربـــه
بذلك لا يعروه خوف و لا ذعر
أبينوا لنا من قـــال منا بهذه
و هل ضم هذا القول من كتبنا سفر

و إلا فانتم ظـــالـــمون لنا بما

نسبتم و إن تابوا فموعدنا الحشر

..وبعد أن ألقى الأستاذ هذه القصيدة الرائعة ، توقف و استعاد أنفاسه ، ثم قال :

.. إن الذين ينسبون الغلاة إلى الشيعة ما هو إلا كذبٌ و افـــتراءٌ علـــى هذه الطائفة الإســـــلامية ، وإن الإماميـــة تـــبرأ مـــن هـــؤلاء الذيـــن لعنهم الله ورسوله والأئمة الطاهرون .

.. ثم أردف وهو يتصفح أوراقه :

﴿ مِعْوَلُ الغُلاةِ مهدمٌ للدين ﴾

إن **الغلاة** من المتظاهرين بالإسلام وهم الذين نســـبوا لأمـــير المؤمنـــين و الأئمة من ذريته إلى الإلهية والنبوة و هم ضلاّل و كفّار حكم فيهم أمير المؤمنين ﴿ع﴾ بالقتل والتحريق بالنار وقضت الأئمـــة عليـــهم بـــالكفر و الخروج عن الإسلام . و ان كتب الشيعة الإمامية أدرجت الغلاة بقائمة الكفار و أمروا بقتلهم ثم أجمعوا على نجاستهم و عـــدم غســـل و دفـــن موتاهم و تحريم إعطائهم الزكاة ، و لم يجوزوا للمغالي أن يـــتزوج مـــن مسلمة و لا المسلم أن يتزوج المغالية وغير ذلك .

وقد قال **الإمام الصادق** عليه السلام : إن قوما يزعمون أني لهم إمام و الله ما أنا لهم بإمام مالهم لعنهم الله أقول كذا ويقولون كذا إنمـــا أنـــا إمـــام من أطاعني و من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله و من شك في ذلك فعليـــه لعنة الله .

وذكر عنده ﴿ عليه السلام ﴾ أصحاب أبي الخطّاب والغلاة فقال عليـــه الســـلام : ﴿ لا تقـــاعدوهم و لا تواكلوهـــم و لا تشـــاربوهم و لا تصافحوهم و لا توا رثوهم ﴾ .

وقال الإمام **علي بن موسى الرضا** ﴿ عليه السلام ﴾: ﴿ اللـــهم إنـــا عبيدك و ابناءعبيدك لا نملك لأنفسنا نفعاً و لا ضراً و لا موتاً و لا حيـــاةً و لا نشوراً ، اللهم من زعم إن إلينا الخلق وعلينا الـــرزق فنحـــن منـــه براء ﴾ .

وقد برّأ هذه الأكذوبة على الشيعة ﴿ الغلاة من الشيعة ﴾ قسمٌ كبيرٌ من المؤرخين برّأهم من هذه النسبة .

ومن هؤلاء الدكتور **احمد أمين المصري** و هو ﴿من علماء الســـنة ﴾ في كتابة **فجر الإسلام** عندما استعرض حركة الغلاة فقال :

إن أفرادا بسطاء هم الغلاة الذين يؤلهون علياً وان الشيعة تبرأ منـــهم و لا يجوز عندهم الصلاة عليهم .

وقد برهن أكثر العلماء على براءة الشيعة من الغلاة و هي لا ترتبط مـــع التشيع بصلة بل إن الاعتقـــاد بهـــم ﴿ أي الغُـــلاة ﴾كفـــرٌ و خـــروجٌ عن الطاعة .

و بهذا القدر الضئيل اكتفي في موضوع الغلاة و أترك الكثير من مواقف أئمة أهل البيت ضد الغُلاة الذين أوقفوا سريان دائها القاتل و لم يبق من تلك الفرق الضالة قاتلهم الله إلا شرذمة لا يعتني بها و إذا أردتم التوسع فعليكم بمراجعة المطولات في ذلك من كتب الشيعة و هم يكيلون لهم اللعن والعدوان .[1]

---

[1] قال الأستاذ أسد حيدر في كتابة الإمام الصادق و المذاهب الأربعة : من أراد أن يعرف موقف الشيعة من طوائف الغلاة فليرجع إلى كتاب "روض الجنان" للشهيد الثاني المتوفى سنة٩٩٦ هجري "نهج المقال" للميرزا محمد الإسترابادي المتوفى سنة ١٠٢٦ هجري "الأنتصار" للسيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هجري "التهذيب"للشيخ الطوسي المتوفى سنة٤٦٠هجري "السرائر" لأبي ادريس المتوفى سنة ٥٩٨ هجري" المنتهى" و "نهاية الأحكام" و "التذكرة" و "القواعد" و "التبصرة" للعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ هجري "البحار" للشيخ المجلسي المتوفى سنة ١٠١١ هجري "الدروس" الشهيد الأول المتوفى سنة ٧٨٦ هجري و"جامع المقاصد" للشيخ علي الكركي المتوفى سنة ٩٤٠ هجري و"الشرايع" و "المعتبر" و "المختصر النافع" للمحقق أبي القاسم الحلي المتوفى سنة ٦٧٦ هجري و"الجواهر" للشيخ محمد حسن المتوفى سنة ١٢٦٦ هجري وغيرها من آلاف الكتب الفقهية التي تنص باجماع على كفر الغلاة و نجاستهم وبعدهم عن الدين و لا رابطة بينهم و بين الشيعة كما أن كتب الرجال طافحةٌ بذمهم و التبرأ منهم ومن معتقداتهم ويلعنونهم بلغة واحدة .

وهل هذه تخرق الحجب

هذه شمائلك فأين أنت ؟

لا تمت جاهلياً

﴿ ولادة تخرق الحجب ﴾

و ما إن انتهى الأستاذ من كلامه حتى علت حمرة الخجل وجنتي سعاد مما سمعت من حقائق تفند الأباطيل المزعومة و بدا عليها الارتباك، و فهم الأستاذ ما يدور بخلدها فأراد أن يخفف عنها ما تحس به فقال :

لا عليك يا سعاد إن الذنب ليس ذنبك بل هو ذنب هؤلاء الكتاب الأعلام الذين لوثوا الحقيقة و دمروها و لكن تيقني إن الحقيقة لا تهضم و إذا هضمت استأثرت لنفسها .

شيماء ﴿ **تحاول** تغيير الموضوع ﴾: ذكرت يا أستاذ إن المهدي ﴿ع﴾ قد ولد فهل في الكتب الموثوقة عندنا ما يؤكد ذلك ؟

الأستاذ : نعم فقد اعترف اكثر من أربعين عالماً من علماء السنة بولادة الإمام المهدي و هناك أحاديث كثيرة تبّين ذلك .

فتح الأستاذ ملفاً و أخرج منه صفحات وأخذ يقرأ :

١ــ ذكر الشيخ **أبو عبد الله بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي** المتوفى سنة ٦٥٨ هجري في كتابه ﴿ **البيان في أخبار صاحب الزمان** ﴾ ص ٣٣٦ باب (٢٥) وقال :

في الدلالة علي جواز بقاء المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ قال :

إن المهدي ولد الحسن العسكري فهو حي موجود باقٍ منذ غيبته إلى الآن .

٢ــ و من علماء السنة ذكر الشيخ **جمال الدين أحمد بن مهنا** المتوفى سنة ٨٢٨ هجري في كتابه **عمدة الطـــالب** ص ١٨٦، ص ١٨٨ طبع النجف الأشرف سنة ١٣٢٣ هجري قال :

أما علي الهادي فيلقب بالعسكري لمقامه بسر من رأي و كانت تسـمى العسكر و أمه أم ولد و كان ﴿عليه السلام﴾ في غايـة الفضـل ونهايـة النبل أشخصه المتوكـل إلى سـر مـن رأي فأقـام بهـا إلى أن تـوفى مسموماً و أعقب من رجلين هما الإمام أبو محمـد الحسـن العسـكري ﴿عليه السلام﴾ كان من الزهد والعلم على أمـر عظيـم و هـو والـد الإمام محمد المهدي ﴿صلوات الله عليه﴾ ثاني عشر الأئمة عنـد الإماميـة و هو القائم المنتظر عندهم من أم ولد اسمها نرجس .

٣ــ و ذكر **شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي** نزيل مكـة المشرفـة الشافعي المتوفى سنة ٩٩٣ هجري في **الصواعـق المحرقـة** له ص ١٢٧ طبعة مصر سنة ١٣٠٨ هجري وقال عند ذكـره الائمـة الاثنا عشر ﴿أبو محمد الحسن الخالص﴾ ولـد سـنة ٢٣٢ هجـري ثم ذكر كرامة من كراماته المعروفة وقضية الاستسقاء في سـامراء و قضيـة الراهب الذي كان يحمل في يده من عظام بعض الأنبيـاء و إذا أخرجـه كانت تمطر السماء و إذا ستره يقف المطر فعرف ذلك الإمام فأخذ منـه العظم و كلما دعا لم تمطر ، فخرج الناس من الاشتباه وعرفوا حيلة العالم النصراني .

قـــال : وكان الإمام الحسن العسكري عزيزاً مكرماً إلى أن مات بســـــر من رأيٰ ودفن عند أبيه علي الهادي عليـــهما الســـلام وكـــان عمـــره ثمانية وعشرون سنة .

قـــال : ويقال انه سم أيضا ﴿كما سموا آباءه الكرام ﴾.

قال : و لم يخلف غير ولده ﴿ أبي القاسم محمد الحجة ﴾و عمره عند وفاة أبيه كان خمس سنين آتاه الله الحكمة .

قـــال : و يسمى القائم و المنتظر قيل لأنه ستر و غاب فلم يعرف أيـــــن هو ذهب .

٤ــ و ذكر من علماء السنة الشيخ **أبو المواهب الشيخ عبد الوهاب بن أحمد علي الشعراني** المتوفى سنة ٩٧٣ هجري أو سنة ٩٦٠ هجري فإنه قال في كتابه اليواقيت والجواهر [1] ص ١٤٥ طبع مصـــر ســـنة ١٣٠٧ هجري قـــال :

البحث الخامس والستون في بيان إن جميع أشراط الساعة التي أخبر بهـــــا الشارع حق لا بد أن تقع كلها قبل قيام الساعة و ذلك كخروج المهدي ﴿عليه السلام﴾ قال :

---

(١) لقد فرغ المؤلف من تأليف "كتاب اليواقيت والجواهر " على ما أدرجه في آخره في شهر رجب سنة خمس و خمسين و تسعمائة بمصر و قد كتب على مسودة هذا الكتاب جماعة من مشايخ العلماء بمصر وأجازوه و مدحوه , منهم الشيخ شهاب الدين بن الشلي الحنفي و منهم شيخ الإسلام الفتوحي الحنبلي فكتب عليه لا يقدح في معاني هذا الكتاب إلا معاند مرتاب أو جاحد كذاب , ومنهم الشيخ شهاب الدين.ومنهم عميرة الشافعي و الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي ومنهم الشيخ محمد البرهمتوشي الحنفي

وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ ومولـــــده ليلـــة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق إلى أن يجتمـــــع بعيسى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾فيكون عمره إلى وقتنا هذا وهـــو ســـنة ٩٥٨ هجري سبعمائة و ست وستين سنة (٧٦٦) ثم قال الشعراني :

هكذا اخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كرم الريش المطل علـــى بركة الرطل بمصر المحروسة عن الإمام المهدي حين اجتمعت به ووافقـــه على ذلك شيخنا سيد علي الخواص .

٥ــ و ذكر الشيخ **شمس الدين محمد بن يوسف الزرندي** فإنه ذكـــر في كتابه ﴿ **معراج الوصول إلى فضيلة آل الرسول** ﴾ الأئمة وقـــال :

الإمام الثاني عشر هو صاحب الكرامات المشهورة الذي عظم قدره بالعلم وأتباع الحق القائم بالحق والداعي إلى منهج الحق الإمـــام أبـــو القاســـم محمد بن الحسن . ثم ذكر تاريخ ولادته و بعض أحواله ﴿عليه السلام﴾ .

٦ ــ و من علماء السنة أيضا ذكر الشيخ **حسين بن الحسن الديار بكري المالكي** المتوفى سنة ٩٦٦ هجري فإنه ذكر في كتابه **تاريخ الخميس** ج٢ ص٣٢١ قال :

الحادي عشر من الائمه الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بـــن جعفر الصادق و يكنى أبا محمد و يلقب بالزكي و الخـــالص و الســـراج و هو مثل أبيه مشهور بالعسكري .

أمه أم ولد اسمها سوسن وقيل غير ذلك ، ولد بالمدينة سنة ٢٣٢ هجري وتوفي في سر من رأى في سنة ٢٦٠ هجري وقبره بجنب أبيه ثم قـــال :

الثاني عشر من الأئمة محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضـــا يكنى أبا القاسم و لقبه الإمامية بالحجة و القـــائم و المـــهدي و المنتظـــر و صاحب الزمان .

٧ــ و ذكر الشيخ أبو **عبدالله أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين اليافعي اليمني المكي الشافعي** المتوفى سنة ٧٦٨ هجري فإنه أخرج في كتابه **مرآة الجنان** ج ٢ ص ١٠٧ ، ص ١٧٢ طبع حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٨ هجري قال : و في سنة (٢٦٠) توفى الشريف العسكري أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بـــن جعفـــر الصادق أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية و هو والد ﴿الإمام﴾ المنتظر صاحب السرداب و يعرف بالعسكري و أبوه أيضاً يعرف بهـــذه النسبة توفي في يوم الجمعة سادس ربيع الأول و قيل ثامنه و قيل غير ذلك من السنة المذكورة و دفن بجنب قبر أبيه بسرّ من رأى .

٨ــ و من علماء السنة ذكر الشيخ **نور الدين عبد الرحمن بن أحمد بـــن قوام الدين المعروف بجامي الشافعي** الشاعر المعروف وقد ذكر في كتابه **شواهد النبوة** ﴿الإمام المهدي الموعود المنتظر عليه السلام ﴾ الحجة بـــن الحسن الإمام الثاني عشر وذكر كثيراً مـــن أحوالـــه ﴿عليـــه الســـلام﴾ و كراماته.

وقـــال : هو الذي يملأ الأرض عدلاً و قسطاً و ذكر قضية ولادته ﴿عليه السلام﴾ نقلاً عن عمته حكيمة ﴿عليها السلام﴾ و غيرها ، وقال فيه :

إنه لما ولد جثى على ركبتيه و رفع سبّابته إلى السماء وعطس فقال :

الحمد لله رب العالمين . وذكر بعض من رأيّ الإمـــام المـــهدي ﴿عليـــه السلام﴾ وهو من سأل الإمام الحسن العسكري ﴿عليه الســـــلام﴾ عـــن الخلف بعده قال:

فدخل الإمام الدار ثم خرج وقد حمل طفلاً كأنه البدر في ليلة تمامه في سن ثلاث سنين فقال الإمام للسائل :

لولا كرامتك على الله لما أريتك هذا الولد الذي اسمه اســـم رســـول الله ﴿ص﴾ وكنيته كنيته وهو الذي يملأ الأرض عدلاً و قسطاً كمـــا ملئـــت جوراً و ظلماً .

٩ــ وذكر الشيخ **بهجت أفندي** مؤلف كتاب ﴿ **المحاكمة في تـــاريخ آل محمد**﴾وقد ترجم بالتركية والفارسية وقد طبع مكرراً لرغبة النـــاس فيـــه وهو كتاب جيد نافع لمن طلب الحق و الحقيقة و ترك التعصب و اللجاج وذكر فيه إمامة الأئمة الاثني عشر ﴿عليهم السلام﴾إلى أن ذكـــــر ولادة الإمام المهدي الحجة المنتظر ﴿عليه السلام﴾ وقـــال :

ولد في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ هجري و إن اسم أمه نرجس وذكر إن له غيبتان الأولى الصغرى و الثانية الكبرى و صرّح بطول عمره وبقائه ﴿عليه السلام﴾ وانه يظهر عندما يأذن الله تعالى له بالخروج فيملأ الأرض قسطاً و عدلاً .

ثم قال : وان ظهوره عليه السلام أمر اتفق عليه المسلمون فلا حاجة لذكر الدلائل له .

و توقف الأستاذ عن تكملة حديثه الذي كانت أذهان الطالبات مستهلة لسماع الكثير منه ثم نظر إلى ساعته بدقة ، وابتسم ابتسامة فاترة قائلاً :

للأسف لم يتبق من الوقت سوى عدة دقائق لا تجدي نفعاً ثم أطبق الملف و هو يتحضر للخروج من القاعة ..فاقتربت منه سعاد ونظرت إليه نظرة إجلال وتفكر و كعادتها طلبت منه أخذ الملف لغرض مراجعة أحاديثـــــه وبحوثه مع والدها.. وسلّمت على الأستاذ و بريق الأمل يغطي معالمها من أن الحقيقة ستظهر عن قريب فتكون الأساس الذي يقطع عطش من أراد الإيمان بمخلص تنتظره العيون ، و أوشك الأستاذ أن يغادر القاعة فأوقفه صوت ملاك و هو يتدفق بكلمات الاعتذار :

﴿ هذه شمائلك فأين أنت ؟ ﴾

عفواً يا أستاذ أنني بحاجة إلى الوقت الضئيل من الدقائق الأخيرة لأسألكم عما إذا جاء خبر أو حديث عن طلعة أو صفات المهدي للتعرف علـــــى شخصه حينما يراه الرائي إن وفق لذلك .

فابتسم الأستاذ وقال في اعتداد وهو يُدخل يديه داخل محفظته الخاصة :

أنت سعيدة الحظ دائما يا ابنتي حيث كنت السبب الأول لهذه البحـــوث التي نوّرت قلوبنا ، أجل عثرت على هذه الصفات الـــتي جـــاءت عـــن لسان رسول الله وآل العصمة ولشدة ما كان معبراً لفظياً و بليغـــاً أدبيـــاً احتفظت به داخل دفتري ثم فتح دفتراً و مزّق وســـط صفحتـــه قـــائلاً بتريث :

أقرئي هذا لكل الطالبات وردّيه إلّي لأعيد كتابته وفقّك الله ثم خرج .

ثم توسّطت ملاك القاعة و أشارت للطالبات بـــالجلوس قائلـــةً بفـــرح : الرجاء الجلوس لدينا وقت لا بأس فيه لبداية الحصة الثانية .

لقد سألت الأستاذ عن صفات المهدي فأعطاني هذه لأقـــرأه عليكُـــنّ .

و ما هي سوى ثوان حيث اشرأبت الأعناق حول ملاك و هي تقرأ برقة فائقة : جاء عن الرسول الأعظم ﴿ص﴾ والأئمة ﴿ع﴾ في شمـــائل الإمـــام المهدي ﴿ع﴾ قال ﴿ص﴾ : المهدي طاووس أهل الجنة وجهـــــه كـــالقمر الدري عليه جلاليب النور تتوقّد بشعاع ضياء القدس أبيض مشرب بحمرة اسمر يعتورهُ من سهو الليل مع سمرته صفرة لونه لون عربي جسمه جســـم روحاني كأن صفحة غرته كوكب دري على خدّه الأيمن خال كأنه فتات مسك على رضراضة عنبر أو على بياض الفضة صبيح المنظر حسن الشعر نور وجهه يعلو سواد لحيته و رأسه يسيل شعره على منكبيه ليس بالطويل الشامخ ولا بالقصير اللازق بل مربوع القامة كغصن بان أو كقضيـــــب ريحان كأقحوانة أو كأرجوان أجلى الجبين مقرون الحاجبين و على رأسه فرق بين مفرقين كأنه ألف بين واوين مدور الهامة في رأسه شامة غـــــائر العينين مشرف الحاجبين كث اللحية براق الثنايا أكحل العينين أفلج الثنايا اقنى الأنف سهل الخدين ناصع اللون دُري المقلتين :

شبيهك بدر الليل بل أنت أنور

وخدك ورد بل من الورد أزهر

فنصفك ياقوت وثلثك جوهر

وخمسك من مسك وسدسك عنبر

فما ولدت حواء مثلك آدماً

و لا في جنان الخلد مثلك آخر

فيا زينة الدنيا و يا غاية المنى

فمن ذا الذي عن حسن وجهك يصبر

و أما توصيف سائر أعضائه الشريفة فقد ورد واسع الصدر مترسل المنكبين شثن الكف معطوف الركبتين عريض الفخذين أحمش الساقين بظهره شامتان شامة على لون جلده بين كتفيه من جانبه الأيسر وشامة على شبه شامة النبي ﴿ص﴾ تحت كتفيه وهي ورقة مثل ورقة الآس و على كتفه الأيمن علامة نبوة النبي ﴿ص﴾ و أسنانه كالمنشار و سيفه كحريق النار له سمت ما رأت العيون أقصد منه **﴿ اللهم أرني الطلعة الرشيدة و الغرة الحميدة ﴾** .

﴿ لا تمت جاهلياً ﴾

وما أن انتهت ملاك من ذكر صفات الإمام حتى خنقتها العبرة و دموعها تتساقط كحبات اللؤلؤ على وجنتيها .

وجاء اليوم الثاني و بعد أن بدأ الأستاذ تحية الصباح استقبلته ملاك بقولها : أحسنتم يا أستاذ وجزاك الله خيراً .. لقد صوّرت لي شخصه عليه السلام حتى جعلتني وكأني أراه شاخصاً أمام ناظري .

الأستاذ : بلى يا ملاك ..معرفة الإمام واجبة على كل مسلم ومسلمة لأنه تكاثرت الروايات و الأخبار المتفق عليها بين فرق المسلمين .

﴿ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية ﴾

وقد روي في مسند الطيالسي ص٢٥٩ طبعة حيدر آباد الدكن عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﴿ص﴾ يقول : من مات بغير إمام مات ميتة الجاهلية .

وفي نفحات اللاهوت ص١٣ طبعة الغري : روي من قول النبي ﴿ص﴾: من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية .

وكذلك أخرج الحافظ سليمان القندوزي الحنفي في **ينابيع المودة** ص١١٧ طبعة اسلامبول ذلك عن جعفر الصادق ﴿ع﴾ .

وأيضا أخرجه العلامة الشيخ رجب بن أحمد في شرح الطريقة ص٢١٦ طبعة مصر ، قال : قال رسول الله ﴿ص﴾: من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية.

إذن هذا الحديث متفق عليه يا ملاك بين علماء السنة والشيعة الإمامية و هذا الإمام في عصرنا اليوم هو الإمام المهدي كما يقوله العلامة بهجت أفندي وهو من علماء السنة في تاريخ آل محمد ص ١٩٨ قال :

﴿ لما كان حديث من مات و لم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة الجاهلية ﴾ متفقاً عليه بين علماء المسلمين قلّما يوجد مسلم لا يعتقد بوجود الإمام المنتظر .

غائب لا يحكم الأرض

بئر يحتضن الوليد

﴿ غائب سيحكم الأرض ﴾

طرقت سعاد باب مكتب الأستاذ أحمد ودخلت برفقة صديقتيها مـــلاك و شيماء فاستقبلهن الأستاذ بابتســـامته المعـــهودة ورحّـــب بهـــن ، ثم قالت سعاد :

لقد راجعت جميع المصادر يا أستاذي و كم أنا سعيدة بأن أجدها مطابقة لما جاء في كتب أهل السنة عندنا .

ولكنني أثناء مراجعتي عثرت على **قصة عجيبة لأم المهدي** ﴿ع﴾ وكيـــف جيء بها ولكنها كانت مختصرة وكم كان شوقي كبيراً لمعرفة تفاصيلـــــها فهل أجد عندكم كتاباً عن هذا الموضوع ؟

الأستاذ : نعم يا سعاد هناك قصة جميلة تبين كيفية وصول والدة الإمـــام المهدي ﴿ع﴾ من بلاد الروم إلى بغداد وزواجها من والد الإمام ﴿ع﴾ .

ثم فتح درج مكتبه و أخرج منه كتيباً صغيراً وقال :

تفضلي يا ابنتي وأرجو أن تتداولن هذه القصة فيما بينكن لتحقيق الفائدة و المنفعة .

فشكرت سعاد أستاذها ، ثم سألت ملاك الأستاذ قائلة :

ومتى بدأت غيبة الإمام المهدي ؟

الأستاذ : **للإمام المهدي غيبتان صغرى و كبرى** ، فالصغرى بدأت من حين الولادة سنة (٢٥٥) هجري أو من حين وفاة والده الإمام الحســـن

العسكري سنة (٢٦٠) هجري واستغرقت بذلك ٦٩ عاماً

وكان يتصل بهذه الفترة مباشرة بمن يتصل به وهم السفراء الأربعة الذين كانوا حلقة الوصل بينه ﴿ع﴾ و بين عامة الناس و تنتهي الغيبة الصغرى بوفاة السفير الرابع أبي الحسن علي بن محمد السمري في النصف من شعبان سنة (٣٢٩) هجري .

سعاد : **ومن هم هؤلاء السفراء الأربعة يا أستاذ ؟**

الأستاذ : السفراء الأربعة هم :

١ــ **أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الأسدي** وكان من نوّاب أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام و كان يلقب بالزيّات أو السّمان لأنه كان يتاجر بالسمن تغطية لأمره العظيم الذي كان يتولاه في عصر الرقابة الشديدة وظلم بني العباس حتى أنه كان ينقل الأموال للعسكريين في زقاق السمن قبل أن يصير من وكالتهما لسفارة المهدي ﴿ع﴾.

٢ــ **أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري** قام مقام أبيه بنص أبي محمد وأبيه عثمان بأمر القائم عليه السلام وكانت كتب المهدي ﴿ع﴾ تخرج على يده إلى الشيعة في أمور دينهم وكل ما يهمهم بنفس الخط الذي كان يخرج في حياة أبيه و قبره يعرف ببغداد بقبر الخلاني .

٣ــ **أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي** أقامه محمد بن عثمان بأمر من صاحب الأمر عليه السلام بعد أن كان سلفه يحيل عليه قبض الأموال قبل وفاته بسنتين لمرضه و عجزه عن مزاولة السفارة .

٤ــ أبو الحسن علي بن محمد السمري أوصى له أبو القاسم النوبختي السفير الثالث بأمر من الإمام عليه السلام . [١]

---

[١] جاء في منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر اعلم إن وكلائه و نوابه عليه السلام في زمان الغيبة الصغرى كما يظهر من مراجعة الكتب المعتبرة كانوا عدة من الثقات الممدوحين بالوثاقة والامانة والصداقة وكان يخرج من عندهم توقيعاته و اوامره و نواهيه عليه السلام ويظهر منهم الكرامات والاخبار عن المغيبات من جهته واقتصر على ذكر اسماء الاربعة المعروفين منهم الذين اجمع الشيعة على امانتهم وعدالتهم ورفعة شأنهم وعلو درجتهم فنقول : الاول الشيخ ابو عمر وعثمان بن سعيد العمري رضي الله تعالى عنه وقد نصبه ابو الحسن علي بن محمد العسكري وابو محمد الحسن بن علي عليهم السلام وكان أسديا ويقال له العسكري و السمان لأنه كان يتجر بالسمن تغطية على الامر وقد ورد النص عليه من الامامين المذكورين ومن مولانا صاحب الزمان عليه السلام وقد ذكره الشيخ في رجاله تارة في اصحاب الهادي عليه السلام فقال عثمان بن سعيد العمري يكنىٰ ابا عمرو السمان ويقال له الزيات خدمه وله احدى عشر سنة وله اليه عهد معروف وتارة في اصحاب ابي محمد الحسن عليه السلام قال جليل القدر ثقة وكيله عليه السلام وقال ايضاً في رجاله : محمد بن عثمان بن سعيد العمري يكنىٰ ابا جعفر وابوه يكنى ابو عمرو وجميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان عليه السلام ولهما منزلة جليلة عند الطائفة انتهى ولقد اجاد المولى الوحيد حيث قال كما في تنقيح المقال وهو اجل واشهر من ان يذكر .

الثاني ابو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري رضوان الله تعالى عليه فانه لما مضى ابوه ابو عمرو وقام مقامه بنص ابي محمد عليه السلام ونص ابيه عثمان عليه بامر القائم عليه السلام وقد نقل الشيخ في غيبته عن ابي العباس عن هبة الله بن محمد عن شيوخه اجماع الشيعة على عدالته ووثاقته وامانته لما ورد عليه من النص عليه بالعدالة والامر بالرجوع إليه في حيوة الحسن عليه السلام و بعد موته في حياة ابيه قال : وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ومعجزات الامام ظهرت على يده الخ .

قال في تنقيح المقال : جلالة شأن الرجل وعلو قدره منزلته في الاماميه اشهر من أن يحتاج الى بيان الخ . وكانت له كتب مصنفة مما سمعها من ابي محمد الحسن من الصاحب عليهما السلام و من ابيه عثمان بن سعيد عن ابي محمد وعن ابي الحسن الهادي عليهما السلام قال الشيخ في كتاب الغيبة قال ابو نصر هبة الله وجدت بخط ابي غالب الزراري رحمه الله وغفرله ان ابا جعفر محمد بن عثمان العمري رحمه الله مات في آخر جمادى الاولى سنة خمس وثلاثمائة وذكر ابو نصر هبة الله بن محمد بن احمد ان ابا جعفر العمري مات سنة اربع وثلاثمائه وانه كان يتولى هذا الامر نحواً من خمسين سنة يحمل الناس اليه اموالهم ويخرج اليهم بالتوقيعات بالخط الذي كان يخرج في حيوة الحسن عليه السلام اليهم بالمهمات في امر الدين و الدنيا وفيما يسئلونه من المسائل بالاجوبة العجيبة رضي الله عنه وارضاه .

الثالث من السفراء الشيخ ابو القاسم الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي رحمة الله عليه المتولي لمقسام النيابة الخاصة بعد محمد بن عثمان رحمهما الله والقائم مقامه بنص منه بامر الامام عليه السلام , وهو من اعقل الناس عند الموافق والمخالف , وكانت له مكانة عظيمة عند العامة ايضا وقد كان لمحمد بن عثمان نحواً من ←

وقد جاء في غيبة الشيخ الطوسي :

و قبل وفاة السمري بأيام أخرج إلى الناس توقيعاً نسخته ﴿ بســـــم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانـــك فيـــك فإنك ميت ما بينك و بين ستة أيام فاجمع أمرك و لا توصي لأحد فيقوم بعد وفاتك فقد وقعت **الغيبة التامة** ﴿**الكبرى**﴾ فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد و قسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً و سيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة ألا فمن أدعى المشاهدة قبل خـــروج السفياني و الصيحة فهو كذاب مفتر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلـــي العظيم ﴾

شيماء : **ترى لماذا أخفى الإمام ولادته عن الناس و تركهم في حيرة من أمرهم ؟**

◄ عشرة انفس , وابو القاسم بن روح فيهم و كانوا كلهم اخص به من الشيخ ابي القاسم وبلغ جعفر بـــن احمد منه من الخصوصية به وكثرة كينونته في منزله بمرتبة كان اصحابنا لا يشكون ان كانت حادثـــة لم يكـــن الوصية الاليه ولكن لما وقع الاختيار بامر الامام على ابي القاسم لم ينكروا واسلموا و لم يزل جعفر بن احمد بن متيل في جماعة ابي القاسم وبين يديه كتصرفه بين يدي ابي جعفر العمري الى ان مات و توفى الشيخ ابو القاسم رضي الله عنه في شعبان سنة ست و عشرون وثلثمائة فكانت مدة سفارته احدى او اثنتا و عشرون سنة .

الرابع من الوكلاء في عصر الغيبة الصغرى الشيخ ابو الحسن علي بن محمد السمري رحمة الله عليه القائم مقام الشيخ ابي القاسم بنص منه و هو آخر الوكلاء وبموته وقعت الغيبة التامة , وصار الامر الى الفقـــهاء و حملـــة الاحاديث وعلوم اهل البيت عليهم السلام فيجب على العوام الرجوع اليهم ودلت على ذلك روايات كثيرة قد مر بعضها ومات ابو الحسن علي بن محمد السمري في سنة تسع وعشرون وثلاثمائه هجري

﴿ بئر يحتضن الوليد ﴾

الأستاذ : كان معلوماً في أذهان الناس و منذ صدر الإسلام تباشير الرسول الأعظم والخلفاء من بعده ﴿ع﴾ إن المهدي الذي بشر به هو من ولد فاطمة ﴿ع﴾ و من أولاد الحسين و هو الثاني عشر من المعصومين و كان الحاكمون يدركون ذلك تماماً و يعلمون أن دولتهم ستزول على يديه المباركة ولهذا يقول **الشبراوي الشافعي** في كتابه ﴿ **الإتحاف بحب الأشراف** ﴾ص١٨٧ طبعة مصر :

فأنهم كانوا ﴿ أي الحكام العباسيون ﴾ في ذلك الوقت يتطلبون الهاشميين ويقصدونهم بالحبس و القتل و يرون إعدامهم و ذلك لأعدامهم من يعدم سلطنة الظالمين و هو الإمام المهدي ﴿ع﴾ كما عرفوا ذلك من الأحاديث التي وصلت إليهم من الرسول الأكرم ﴿ص﴾ وأخبرهم أن الإمام المهدي الموعود المنتظر عليه السلام يقطع دابر الظالمين و يستولي على الدنيا و لا يترك أحداً منهم في الأرضين .

إذن **فالسر في إخفاء ولادته** هو إن بني العباس لما علموا من الأخبار المروية عن النبي و الأئمة من أهل البيت﴿ع﴾ إن المهدي عليه السلام هو الثاني عشر من الأئمة وهو الذي يملأ الأرض عدلاً ويفتح حصون الضلالة و يزيل دولة الجبابرة و يقتل الطواغيت و يملك الأرض شرقها و غربها أرادوا إطفاء نوره بقتله فلذا عينوا العيون و الجواسيس و القوابل للتفتيش عن بيت والد الحجة الإمام أبي محمد الحسن العسكري ﴿ع﴾ و لكن يأبى

الله إلا أن يتم نوره فأخفى عز و جل حمل أمه نرجس عن النـــاس حـــتى نقلوا إن المعتمد بعث القوابل سراً وأمرهن أن يدخلن دور بني هاشم سيما دار العسكري ﴿ع﴾بلا استئذان في أي وقت كان لتفتيش أمره و استعلام حاله وخبره فلم يقفن علي شيء وأبى الله إلى أن يجري في حجته سنة نبيه موسى كما إن أعداءه ركبوا سنة فرعون و اتخذوا السياسة الفرعونيـــة حيث علم إن زوال ملكه يكون بيد رجل من بني إسرائيل فعين المفتشين عن الحوامل و أخذ المواليد تحت المراقبة الشديدة فإذا كان المولود ذكـــراً ذبحوه و إذا كان أنثى يستحيونها فقتلوا ألوفا من المواليد في طلب موســى قال الله عز و جل:

﴿ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾[1] و مع ذلك جعل الله تعالى نبيه في حفظه و أخفى عنهم ولادته قال تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمّ وَ لاَ تَخَافِي وَ لاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [1]

وقد ذكر في الروايات الكثيرة شباهته عليه الســـلام بـــإبراهيم وموســـى عليهما السلام .

صمت الأستاذ برهة ثم أردف قائلاً :

ونقل في إلزام الناصب عن بعض مؤلفات العالم الفاضل **محمـــد يوســـف الدهخوارقاني** الذي ألّفه في عصر الشاه عباس الثاني إنه كان ﴿ع﴾ يومـــا من الأيام في حجر والدته في صحن الدار إذ أحسّت نرجـــس بـــالقوابل فاضطربت اضطراباً شديداً و لم تجد فرصة حتى تخفي ذلك النور فـــهتف

---

[1] سورة الأعراف آية رقم (١٤١)

[1] سورة القصص آية رقم (٧)

هاتف بها أن ألقي حجة الله القهار في البئر التي في صحن الدار فألقتـــه في البئر وقد سمعت القوابل صوت الطفل فدخلن الدار بســـرعة فبـــالغن في التفحص فلم يجدن منه أثر فخرجن والهات حائرات فلما فرغت الـــدار أقبلت نرجس إلى البئر لكي تعلم ما جرى على قرة عينها فلما أشرفـــت على البئر رأت الماء يفور إلى أن ساوى أرض الدار و حجـــة الله فـــوق الماء صحيحاً سالماً كالبدر الطالع و القماط الذي عليـــه لم يبتـــل أبـــداً فتاولته و أرضعته وحمدت الله و سجدت له شكراً .

وهنا تسأل ملاك باستغراب :قلتم يا أستاذ **إن الغيبة الكبرى بدأت بوفاة السمري في النصف من شعبان عام ٣٢٩ هجري أي في القرن الرابع الهجري و نحن الآن في القرن الخامس الهجري و نحن نعلم إن الإنسان يتراوح عمره في عصرنا بين الثمانين و التسعين و المائة و هؤلاء مـــن نسميهم بالمعمرين فكيف يمكن لهذا الإنسان (المهدي) أن يعمّر كل هذا العمر ؟**

ابتسم الأستاذ و قال :

هذا سؤال جيد يا ملاك و لقد فكرت في هذا الموضوع كثيراً و توصّلت إلى حقائق و إثباتات علمية من زميل لي يعمل طبيباً و له أبحاث في هـــذا المجال و قد و جّهت له دعوة بالحضور إلي هنا لتوضيـــح هـــذه الأمـــور لَكُنّ فوافق مشكوراً و رحّب بالأمر و سيكون موعدنا الســـبت المقبـــل إن شاء الله.

ظهر البشر والسرور على وجوه الطالبات وهن يســـمعن هـــذا الخـــبر و شكرن الأستاذ ثم ذهبن لإخبار بقية الطالبات بهذا النبأ السار .

قصة ملكة

المهمة العظيمة

أميرة بزي الجواري

طيف في المنام

أمنية يلبيها القيصر

الرؤيا محل اللقام

و أشرقت الأرض بنور ربها

وليد ينطق بالحكمة

السماء تحتضن الوليد

﴿ قصة مليكة ﴾

عادت سعاد إلى منزلها ودخلت حجرتها و استلقت على السرير ثم أخرجت من حقيبتها الكتيب عن قصة والدة الإمام المهدي ﴿ع﴾ و أخذت تقرأ في شوق واهتمام .

﴿ المهمة العظيمة ﴾ (١)

كان الليل في الهزيع الأخير عندما وصل بشرٌ أسوار بغداد وما إن استقربه المكان حتى استغرق في تفكيره ناسياً مرور الزمان و توالت عليه الأفكار و التساؤلات متى يحين الصباح فيذهب إلى المهمة التي أوكل بها و جاء من أجلها ..ترى هل سينجح في مهمته ؟ و لم لا و قد بعثه إليها من عنده علم الكتاب،العلم الذي اقتبس نوره من جده رسول الله ﴿ص﴾ هذا الإحساس جعله يشعر بالاطمئنان و الراحة ، فرقد و ما عتم حتى استغرق في نومه منهوك القوى وراح في نومٍ عميقٍ .. و انقضى الليل فخلع الفضاء أثوابه المرصعة بالنجوم ولبس قميصه المنسوج من تباشير

---

(١) -إكمال الدين للشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هجري , الباب الحادي والأربعون ص (٤١٨) وبحار الأنوار للعلامة المجلسي المتوفى سنة ١١١١ هجري مجلد رقم ٥١ ص (٦) عن غيبة الشيخ عن الكليني ـمع بعض التصرف بالألفاظ

الفجر. فتح عينيه مبهوتاً و هبّ من سباته فجأة كما يهبّ الملاّح تبدو لعينيه الأرض وتوجّه إلى هدفه المنشود إلى سوق النخاسة الذي امتلأ بالجواري و الزبائن الذين جاءوا لشرائهن ..انزوى بشرّ في زاوية و راح يراقب ما يجري و ما يدور أمامه و يطبق ما رسم له من مواصفات .. فتقدّمت الجواري واحدة تلو الأخرى و كل واحدة منهن تبرز ما بها من جمال و فتنه و أنوثة لتعجب من سيشتريها و لم تبد أي واحدة منهن أي استياء من المشاهدين إلا امرأة منهن قد تخلفت عن الباقيات واختبأت وراء الستار بالرغم من توافد الطلب عليها إلا أنها كانت تقابل كل هذا بالرفض و الامتناع و كانت تبدو من خلال وشاحها بأروع صور الوقار و الهيبة و في صوتها هدوء و عفة و كمال .. و لم يمنع ذلك من إصرار مالكها على أن يكشف عنها الستار فتقابله بصوت حزين يقرح القلوب و يذيب الصخر قائلة :

واهتك ستراه .. فينظر إليها من يريد شراءها بعد أن يعجب بجمالها و طلعتها البهية و يعّبر من أنه لم تقع عيناه على فتاة في مثل جمالها و روعتها فيدفع فيها المال الكثير إلا أنها ترفض باكية مهدّدة تقول :

لو برزت في زي سليمان وعلى ملكه ما بدت لي فيك رغبة

و تهدّد النخاس بقتل نفسها إن فعل فلا يجد المالك إلا أن يرضخ لمطلبها .. وتنقضي بعض حلقات الخطة التي رسمتها السماء لوصول هذه المرأة العفيفة الطاهرة و بعد أن حفظها الله من كل رجس يدّنسها حتى وصلت إلى السبي حيث إنها بنت يشوع بن قيصر ملك الروم وقد سبيت مع الجواري اللاتي سيق بهن من الروم بعد الانتصار للمسلمين .. ساعات

مرت ببشر و هو ينظر ويشاهد ما يحدث أمامه و يتذكر ما طلبـــه منـــه الإمام فقد كان بشرٌ مواليا للإمام الهادي عليه السلام وقد أرســـله لهـــذه المهمة فسافر من سامراء إلى بغداد وقد حدّد له الإمام المكـــان والبـــائع المسمى عمر بن يزيد النخاس ووصف له الجارية و بعض سلوكها وأنهـــا تنطق العربية بطلاقه وقد أعطاه الإمام صرةً من النقود و كتاباً ملصقاً بخط روميً و لغة رومية و مختوم بخاتمه الخاص و بعد أن تجمعت لبشر خيـــوط الحلقة وتأكد من صحة معلوماته تقدم إلى البائع ودفع إليه الكتاب وأمره بأن يعطيه للجارية فما إن سمعت الجارية بكلامه حتى خفق قلبها وتهللت ملامحها وشع من عينيها نورٌ و بهجةٌ فإذا بها تأخذه و تفضّه وتقرأ ما فيـــه على وجل و دموعها تتساقط كحبات اللؤلؤ من مقلتيها الرائعتين ثم تقبلّ الكتاب بحرارة و شوق و تقوم من مكانها وتزيح الستار فيراها مالكـــــها وبشر فيبدو وجهها رغم شحوبه بريئاً منيراً كالبدر يشعّ من أعماقـــها شعاعاً صافياً فيضفي عليها غلالة من الطهر و ينبعث من محياها نور الحياء و الأدب .

ثم تتكلم بصوت ملائكي ممزوج بالعبرة والدموع قائلة:

بعني إياه و إلا قتلت نفسي .

وتنتهي أحداث الواقعة بأن يستقر الثمن على مقدار ما في الصـــرة الـــتي حملها بشرٌ من الإمام .

وبعد إن استقر بها المكان أخرجت كتاب الإمام و صارت تلثمه وتمسحه على خديها المتوردتين ومقلتيها الملتهبتين وتضعه على جسدها الشريـــف و تنظر إلى البعيد نظرة أمل و تفاؤل فقد جاء من سينقذها وينير دربها .

﴿ أَميرة بزي الجواري ﴾

اعتلت الدهشة بشراً عندما شاهد اهتمام المرأة بالكتاب و ثـــارت لديـــه تساؤلات كثيرة وهو يرمقها بنظرة تعجب و استغراب ثم أردف قائلاً :

أتلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه ؟

فأجابته بصوت وقورٍ وأدبٍ جميلٍ والدموع تترقرق من عينيها و أخذت في سرد قصتها وما مرت بها من شجون و مصاعب فبيّنت إنها تنحدر من سلالة عريقة فهي بنت **يشوع بن قيصر** ملك الروم و أنهـــا مـــن ولـــد الحواريين المنتسب إلى **شمعون وصي المسيح (ع)** و طافت بها الذكريات وهي تتذكر حياتها و كيف كانت معزّزة مكرّمة تسكن القصور الفاخرة وترتدي الثياب المرصعة بالجواهر ويقوم على خدمتها جيشٌ مـــن الخـــدم و الجواري إلى أن بلغت الثالثة عشرة من عمرهـــا أراد جدهـــا الملـــك تزويجها من ابن أخيه فعقد لتلك المناسبة مجلساً عظيماً دعا إليه الحواريين والقسيسين و الرهبان وكبار رجال البلاط الملكي و نقباء الجيوش وملوك العشائر **فكان حفلاً ضخماً بهيجاً جامعاً لمظاهر البذخ والترف والثراء .**

وقد بلغ الاحتفال ذروته عندما أبرزوا وسط هذا الجمع الغفير عرشاً ملكياً مزيّناً بأصناف الجواهر و الحلي و مرصّعاً بالأحجار الكريمة و رفعوه عالياً كي تشهده عيون الحاضرين وقام الأمير باعتلاء هذا العـــرش فـــاشرأبت الأعناق و أحدقت الصلبان تحته وقامت الأساقفة بزيها الأســـود عكّفـــاً

و نشرت أسفار الإنجيل وخمدت الأنفاس وتطلّعـــت العيـــون إلى هـــذا المشهد الرائع وكأن على رؤوسهم الطير .

وفجأة حدث ما لم يكن في الحسبان **تزلزلت الأرض من تحت هذا الجمع و انقلب المكان رأساً على عقب و كأنه يوم الساعة** فخرّت الصلبان إلى القاع و أنهدمت الأعمدة المنقوشة فوقها وسقط من كان علـــى العـــرش الملكي مغشياً عليه و بهت الحاضرون و خلال ثوان قليلة انتهى كل شـــيء

لكن هذا لم يمنع من إحساس الأساقفة بالشؤم من هذا اليوم الأمر الذي جعلهم يناشدون الملك و يتضرعون إليه أن يعفيهم من ملاقاة هذا اليـــوم النحوس المنبئ بزوال هذا الدين .

فيطيّر الملك تطيراً شديداً ولكنه يرفض طلبهم ويصرّ على إكمال مراسيم الاحتفال .

وفي اليوم التالي يستعد الجميع لإقامة الحفل بعـــد أن أضـــافوا أمـــورا في اعتقادهم تدفع نحوسة هذا اليوم و لكن ما إن بدأوا في مراسيم الحفل حتى **حدث مثلما حدث في اليوم السابق** فتفّرق الناس وقام القيصر مغتماً يجرّ أذيال الخيبة واليأس ..نعم إنها إرادة الله وحكمته البالغة الـــتي أرادت أن تمنع زواج هذه المرأة الطاهرة من ابن الملك لأن الله ذخر لها زوجاً و ذرية طيبة.

﴿ طيفٌ في المنام ﴾

لم تكن تدري ماذا يخبئ لها القدر و ماذا نُسج لها في الغيب فنامت ليلتها

بعد أن تأجّل الحفل إلى وقت غير معلوم وجاءها في المنام طيف دغـــــدغ شعورها و بعث في نفسها الأمل و التفاؤل فقـــــد رأت **كـــأن المســـيح و شمعون و عدد من الحواريين** قد اجتمعوا في قصر جدها ونصبوا فيـــه منبراً من نور يباري السماء علواً و ارتفاعاً.

ثم يدخل محمد ﴿ص﴾ في جمع من بنيه و يتقدم من المسيح ﴿ع﴾فيتعانقـــان في مودةٍ وصفاءٍ ثم يقول محمدٌ ﴿ص﴾ وقد علته ابتسامةٌ فياضةٌ :

يا روح الله إني قد جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكه لابـــــني هذا ويومئ بيده إلى أبي محمد فينظر المسيح إلى شمعون ويقول له :

قد أتاك الشرف فصلْ رحمك برحم آل محمد .

فيجيبه شمعون طائعاً فعلت .. ثم تزف مليكـــــه إلى أبي محمـــد فيلتقـــي الكوكبان وتضئ الدنيا نوراً يصل إلى عنان السماء و ترفـــرف الملائكـــة بأجنحتها فرحة مستبشرة .

ويشهد هذا الحفل المسيح وأبناء محمد والحواريون وهنا تستيقظ من نومها وهي تشعر بإحساس لم تشعر به من قبل مزيج من الطمأنينة و الســـــعادة والبهجة لكنها تصر في قرارة نفسها ألا تخبر أحداً حتى لا ينكشف أمرها ويكون مصيرها القتل .

لكن هذه الرؤيا جعلتها ترتبط ارتباطاً روحياً بأبي محمد وأصبحت تنتظره بشوقٍ و حب وأمل في أن يتحقق ما رأته في المنام فتسعد ويكتب لها الهناء والخير ..لكن الأيام مضت و لم تتحقـــق الرؤيـــا فمـــاذا تفعـــل وقـــد شغفت حباً به ..

الأمر الذي جعلها تمتنع عن الطعام والشراب حتى ضعفت و دقّ شخصها و مرضت مرضاً شديداً و وقعت طريحة الفراش فخاف عليها جدها و لم يتوان لحظة من أن يبعث في مدائن الروم باحثاً عن طبيب أو مداوٍ لديـــه علاجا لها ..

وجاء الأطباء من جميع أنحاء البلاد و تنافس كل واحد منهم بإبداء رأيـــه عن هذه الحالةِ و وضع الطريقة المناسبة لعلاجها و لكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح و وقفوا عاجزين أمام حالتها و لم يعرفوا من دائها شيئاً .

و مرت الأيام و هي على حالتها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم والجميـــع في ذهولٍ مما أصابها و ما ألم بها.

﴿ أُمنية يلبّيها القيصر ﴾

فرش الحزن أجنحته على أرجاء البلاد .. وخيمّت الوحشة والكآبة وجوه من في القصر و هم يرون حالة مليكهم و فزعه على حفيدته و لا يجدون العلاج لها .

كان الجد في أشد حالات اليأس و الألم فاقترب من حفيدته و سألها برأفة وشفقة قائلاً لها : يا قرة عيني وثمرة فؤادي ألا يخطر ببالك أمنية فأحققها لك و رغبة فألبيها لك و لو صعبت ؟

فأجابته والدموع منحدرة من عينيها و الحزن قد سرى إلى كل حناياهـــا فكأن صوتها يأتي من أعماق الزمن قائلة وهي تنظر نحو الأفق الحزين :

يا جداه أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة فلو كشفت العذاب عمـــــن في سجنك من أسارى المسلمين و فككت عنهم الأغلال و تصدّقت عليهم و منّيتهم الخلاص رجوت أن يهب لي المسيح و أمه عافية فما إن سمع الجد كلامها حتى انفرجت أساريره و أبدى موافقته في تحقيق رغبتها الغاليـــة فاقبل على الأسارى و قام بتكريمـــهم والنظـــر في أمرهـــم و مداراتهـــم و الإحسان إليهم و لم تمر سوى ليال أربع حتى رأت مليكة رؤية ثانيـــة أعادت لها الأمل والحياة .

فقد رأت وكأن مريم العذراء وفاطمة بنت محمد ﴿ سلام الله عليهما ﴾ وهما يزورانها فتقوم أم المسيح من مجلسها وتقدّم الزهراء لمليكة قائلة لها في حب و ود : هذه سيدة النساء أم زوجك أبي محمد .

فتتعلق مليكة برداء الزهراء وتبكي بحزن و شوق وهي تشكو من امتنـــاع أبي محمد من زيارتها فتجيبها البتول بصوت تذوب فيه عذوبة ورقـــه **إن ابني أبي محمد لا يزورك وأنت مشركة على مذهب النصارى** وبخشوع ووقار تلتفت إليها و تأمرها بأن تشهد الشهادتين فتمتثل مليكـــة بدافـــع الحب و الشوق و التعلق الشديد بأبي محمد لهذا الأمر و تدخل في الديـــن المحمدي وهي ما تزال في عالم الرؤيا فتضمها الزهراء عليها الســـــلام إلى صدرها الحنون و تمسح بكفيها على رأسها كأم حانية عطوفة و تغـــــدق عليها من رحمتها و تمضي بعد أن تعدها بزيارة أبي محمد لها فتقـــوم مـــن نومها وقد شعّ من عينيها نورٌ وأملٌ و سعادة و بانت عليها مسحة قبول ورضا .

﴿ الرؤيا محل اللقاء ﴾

و كما وعدتها الزهراء الصادقة فقد تحققت رؤياها التي طالما رأتهـــا بـــه وأصبحت حقيقة و واقعاً جميلاً فقد أخذ أبو محمد بزيارتها كـــل ليلـــة قائلاً لها :

ما كان تأخيري عنك إلا لشركك وإذ قد أسلمت فإني زائرك كل ليلة إلى أن يجمع الله شملنا في القريب العاجل .

ثم واصلت حديثها لبشرٍ وكيف وصلت للأسر وذلك أن أبا محمد أخبرها في بعض زياراته قائلا لها :

إن جدك سيسّير جيشاً لقتال المسلمين فعليك باللحاق بهم متنكـــرة في زي الخدم مع عدة من الوصائف و حدّد لها الزمان والمكان و ذلـــك لكي يأسروها و ينقلوها إلى بلادهم الإسلامية قالت :

ففعلت ذلك و هكذا وقعت في الأسر دون أن يكتشف أمرهـــا أحـــد ودون أن يعرف أي إنسان بأنها أبنة ملك الروم فقد أخفت انتسابها إليـــه حتى مالكها عرفها باسم نرجس و هو اسم للجواري اختارته لنفسها .

وتنتهي نرجس من سرد قصتها ولكن يبقى سؤال واحدٌ كان يـــدور في ذهن بشر وهو **كيف تنطق بالعربية وهي رومية ؟**

فأجابته وقد علت شفتيها ابتسامة وديعة بأن جدّها بلغ به ولوعه بالأدب وشغفه في تعلّم الحضارات الأخرى أن أوعز إلى امرأة ترجمانة أن تزورها

صباحاً ومساءً و تعلمها اللغة العربية وهكذا حتى استقام لسانها ، وهنا بدأ الارتياح على وجه بشر لما سمع .

و تدور الأحداث و تتوالى ، فيصل بشر ومعه نرجس إلى أبواب ســـامراء فيتجهان إلى دار الإمام الهادي عليه السلام و تدخل عليه بأدب واحـــترام فيقول لها :

كيف أراك الله تعالى عز الإسلام وذل النصرانية وشرف محمد و أهـــل بيته ؟

فتجيبه بصوت هادئ خشوع :

كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت اعلم به مني .

فيتصدّى الإمام لامتحانها و سبر أغوار إيمانها و معرفة درجة إخلاصـــها و فهم أعماقها فيخيّرها بين أن يعطيها عشرة آلاف دينار أو يقـــدّم لهـــا بشرى بها شرف أبدي فتختار الشرف.. وهنا يبشّرها بولد يملك الدنيـــا شرقاً و غرباً و يملأ الدنيا قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً فتقول :

ممن ؟ فيجيبها متسائلاً :

ممن خطبك رسول الله ؟

فتجيب : من المسيح و وصيه عليهما السلام .

فيقول : فممن زوجك المسيح و وصيه ؟

فتقول : **من ابنك أبي محمد** .

فيسألها :هل تعرفينه ؟

فتجيب : و هل خلت ليلة لم يزرني فيها منذ الليلة التي أسلمت فيها على يد سيدة نساء العالمين أمه ..وعندئذ يستدعي الإمام الهادي سلام الله عليه

أُخته حكيمة ويأمرها بأن تأخذ نرجس لمنزلها و تعلّمها أحكام الإسلام ثم يقول لها أني قد زوّجت أبي محمد الحسن و أم القائم.

و هكذا تبدأ مرحلة جديدة في حياة نرجس فتعيش في عـــالم روحـــاني مليء بالسعادة و الإيمان و الفضائل الربانية ، وتجتهد ليل نهـــار في التفقـــه في الدين الحنيف لتكون على مستوى عظيم و مكانة تليـــق بـــأم مـــن سيظهر العدل بهذه الأرض .

و بالفعل تغوص في أعماق الدين الإسلامي وتتبّحر في تعاليمه و فروعـــه و أصوله و تتأهّب لتكون عروساً لأبي محمد الحسن في العيان .

وتدخل مرحلة جديدة أخرى وهي أصعب المراحل التي يمتـــاز بالصـــبر عليها عباد الله وهو حمل حجة الله الثاني عشر بين أحشائها و الســـلطات تترقب صوت طفلٍ رضيع ، ومن هنا تلقّب بأجمل اسم و أرقـــه و هـــو **اسم صقيل** على حد الروايات إلى ساعة أوان خروج النـــور إلى عـــالم الحياة.

﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾

و جاءت الليلة الموعودة التي غيّرت مجرى التاريخ وأضاءت الدنيا نـــوراً و رحمة ففي تلك الليلة بعث الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام إلى عمته حكيمة طالباً منها أن تجعل إفطارها عنده فإنما **ليلة النصف من شعبـــان و إن الله سيظهر في هذه الليلة الحجة و هو حجته في أرضه .**

فقالت حكيمة : ومن أمه ؟

قال الإمام : نرجس .

فقالت باستغراب : جعلنا الله فداك ما بها من أثر .

فقال : هو ما أقول لك ..

و في المساء ذهبت حكيمة إلى منزل الإمام فاستقبلتها نرجـــس بأحســـن استقبال و رحّبت بها أجمل ترحيب وجاءت لتخلع خفيها فما كان مـــن حكيمة إلا أن قالت لها :

والله لا أدفع لك خفي لتخلعيه و لا تخدميني بل أنا أخدمك ، ثم أردفت قائلة: **إن الله سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة .**

فعلت حمرة وجه نرجس و ارتعشت أوصالها مما سمعـــت ثم إن حكيمـــة فرغت من صلاة العشاء وأفطرت و أخذت مضجعها ثم رقدت فلما كان في جوف الليل قامت إلى الصلاة فالتفتت إلى نرجس فزعة من نومـــها ثم قامت فصلّت نوافل الليل فدخلت الشكوك نفس حكيمة ولكنها سمعت أبا محمد يصيح بها من المجلس في حجرته ، **إنه لم يطلع الفجر يا عمة فلا تعجلي .**

فاستحيت مما وقع في قلبها ثم رجعت للصلاة وإذا بنرجس قد خرجـــت فزعة فدنت منها حكيمة و ضمتها إليها وسمّت عليها ثم قالت لها ، **هـــل تحسين بشيء ؟**

فأجابتها بصوت ضعيف :

نعم ﴿ وهذا معناه في هذا الوقت القصير من الدقائق القليلة قد كبر الإمام و نمى ﴾ و﴿ واختيار هذا الوقت و هو قبل الفجر لما فيه من الغفلـــة لمـــن يتـــولى الســـلطة والتجســـس ﴾

غيبت نرجس و لم تُرا و كأنه ضرب بينـــــها وبـــين حكيمـــة حجـــاب و راحت حكيمة في سبات و لم تنتبه إلا بحس الإمام الحجة ﴿عج﴾ وصيحة أبي محمد يقول لها يا عمة هاتيه لي .

فكشفت عنه **فإذا به ساجداً يبلغ الأرض بمساجده وعلى ذراعه الأيمن مكتوب جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .**

﴿ وليدٌ ينطق بالحكمة ﴾

فضمته إليها فوجدته مفروغاً منه .. و لفته في ثوب و حملته إلى أبي محمد **فأخذه وأقعده على راحته اليسرى و جعل راحته اليمـــني علـــى ظهره وسمعه ومفاصله ثم قال له : تكلم بأذن الله ، فقال : اشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً رسول الله وان عليـــاً أمـــير المؤمنين ولي الله** ثم لم يزل يعدد السادة الأئمة عليهم السلام إلى أن بلغ إلى نفسه و دعا لأوليائه بالفرج على يده ثم أحجم .. وفي رواية أخرى قـــال أبو محمد سلام الله عليه للإمام الحجة ﴿عج﴾ **انطق بقدرة الله فاستعاذ ولي الله من الشيطان الرجيم وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَ نُرِيـــدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَ نَجْعَلَـــهُمْ أَئِمَّـــةً وَ نَجْعَلَـــهُمُ الْوَارِثِينَ • وَ نُمَكِنَ لَهُمْ فِي الأَرضِ وَ نُرِي فِرْعَوْنَ وَ هَامَٰنَ وَ جُنُودَهُمَـــا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾** سورة القصص الآية ٥،٦ وصلّـــى علـــى رسول الله و على أمير المؤمنين و الأئمة واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه ثم قال :

اللهم أنجز لي ما وعدتني و أتمم لي أمري و ثبت وطأتي واملأ بي الأرض عدلاً..

ثم قال له :

أقرا يا بني مما أنزل الله على أنبيائه و رسله ، **فابتدأ بصحف آدم فقرأهـــا بالسريانية و كتاب إدريس و كتاب نوح و كتاب هود و كتاب صالح و صحف إبراهيم و توراة موسى و زبور داود و إنجيل عيسى و فرقان جدّه رسول الله ثم قصّ قصص الأنبياء والمرسلين إلى عـــهده ثم نـــاول أبو محمد الإمام إلى عمته و قال لها :**

رديه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق و لكـــن أكثر الناس لا يعلمون فردّته إلى أمه و قد انفجر الفجر الثاني ثم وقع بين حكيمة و بين أبي محمد كالحجاب فلم تر الإمام الحجة فســـألت عنـــه فأجابها أبو محمد :

أخذه من هو أحق به منك و إذا كان اليوم السابع فأتينا ..

فلما كان اليوم السابع جاءت إليه ففعل به كفعاله الأول .

﴿ السماء تحتضن الوليد ﴾

وبعد أربعين يوماً دخلت إلى دار أبي محمد فإذا بمولانا صاحب الزمان يمشي في الدار فلم ير وجهاً أحسن من وجهه و لا لغة أفصح من لغتـــه فتعجّبت حكيمة و لكن الإمام أبا محمد قال لها : **هذا المولود الكريم على**

الله عز و جل . ثم ألم تعلمي يا عمة إنا معاشر الأوصياء ننشأ في اليوم ما ينشئ غيرنا في الجمعة وننشئ في الجمعة ما ينشأ غيرنا في السنة .

فقامت حكيمة و قبّلت رأسه ثم انصرفت و لكنها عادت و تفقدته فلـــم تره فسألت : ما فعل مولانا ؟

فأجابها أبا محمد : يا عمة استودعناه الذي استودعته أم موسى .[1]

و انقضت الساعات كالطيف الخاطف و سعاد مازالت تتابع ما تقرأه دون ملل أو تعب و اتسع خيالها وهي ترى الحقائق تتضح أمامـــها كشعـــاع الشمس حين يخترق الأفق ثم أطبقت القصة بعد أن أنهت قراءتها إذ كانت مشدودة للأحداث مرتبطة بها واستغرقت بفكر عميق وهي تمر من بـــين زوايا الدار لتصل إلى بيت صديقتها ثم سلمتها القصة وشكـــرت مـــلاك بدفء وتمنت لها التوفيق .

---

[1] إكمال الدين للشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هجري , الباب الحادي والأربعين ص (٤١٨) وبحار الأنوار للعلامة المجلسي المتوفى سنة ١١١١ هجري بجلد رقم ٥١ ص (٦) عن غيبة الشيخ عن الكليني مع بعض التصرف بالألفاظ

الإنسان سبعمئة مئات و ألوف السنين

عقلك ميزان عمرك

قبرك تحفره بأسنانك

مَن وراء الشيخوخة ؟

التفاتة مفيدة

صراع مع الشيخوخة

علم الشيخوخة

عمّروا و هم فتيان

﴿ الإنسان سيعيش مئات و ألوف السنين ﴾

جاء يوم ا لسبت و كان يسود الجو حالة من الترقب و الانتظار فالجميع ينتظر قدوم الدكتور ليبين الحقائق و الآراء حول إمكانية طـــول عمـــر الإنسان وخاصة الموضوع الذي شغل أذهان الطالبات وهو حول إمكانية أن يعيش الإمام المهدي كل هذه المدة بشكل طبيعي وكان يسمع بعـــض الضوضاء تنبعث من منافذ صالات الاحتفالات حيث اجتمع الكثير مـــن الطالبات اللائي كن متعطشات لسماع الأخبار الطبية و المختبريـــة مـــن لسان العالم الحياتي ﴿ بطرس ﴾ الذي حصل على رسالة الدكتوراة واصبح بروفيسوراً بالعلوم الطبيعية .

إن الجميع يعدّ اللحظات للقاء بهذا العالم .

و ما هي سوى دقائق حتى دخل الأستاذ أحمد بهيئته الوقـــورة بصحبـــة الدكتور بطرس الذي كان يبدو عليه حيوية الشباب رغم تقدمه بالعمر .

وقام إليه الجميع يحيونه باحترام ثم ساد السكون الصالة وبقيـــت أقـــدام الدكتور تمشي الهوينا إلى أن صعد عتبة عالية كانت تتوســـط الصالـــة ثم وضع غليونه العتيق الشكل على الطاولة الصغيرة التي تربّع عليها جـــهاز مكبر الصوت وعلى يمينه وُضِعَ قدحٌ ماء و فنجان للقهوة الحارة .

وهكذا بدأ الدكتور أمام الجميع بهندامه الأنيق وشعره الأبيض المصفـــف الذي كشر عن صلعة في وسط رأسه .

ثم خلع الدكتور نظارته الدقيقة العدسة وأطلق عدة بحّات سعالية وسوّى من ربطة عنقه وبعدها قال بهدوء ولطف بعـــــد أن قــرّب فمــه مــن الميكروفون :

حقاً أنا أشكر الجميع على هذا الترحيب الفذ ويعمّني الأمل حين أسمـــع بوجود كوادر مثلكم تحب العلم الذي هو بحر لا ينفذ وإنني أقدم جزيـــل شكري واعتزازي إلى الأستاذ الحاذق و الفنان في علوم الإجتماع لإتاحته الفرصة لي لأكون بخدمتكم .

ثم ابتسم ببراءة وأتم حديثه : إنني في غاية السعادة بأني ســأتحدث لكــم الآن حول موضوع طالما حيّر أذهان العلماء والمفكرين لأن موضوع طول العمر هو موضوع معقّد لا يستطيع العلم أن يحبســه داخــل مختبراتــه الزجاجية أو في ملفات التحقيق العلمي وإن العوارض التي تعتري جســم الإنسان من تعب روحي أو إبادة الدماغ بالتفكير أو الضغط عليه كلــها مسببات تكفي للقضاء على البشرية جمعاء ، ثم شرق بسعاله ورفع غليونه الخشبي الأسود أمام الجميع وقال :

رغم إنني متخصص بالعلوم الحياتية إلا إنني إلى الآن لم أستطع أن أثــور على هذه العادة البغيضة التي تهدم العمر فسامحوني من فضلكم .

إن هذا البحث لا يتم طرحه بجلسة أو جلستين و علينا أن نأخذ بهــذه القاعدة ﴿ ما لم يدرك كله لا يترك جله أو كله ﴾ و بهــذه الجلســة سأطرح لكم بعض الحلول لهذه المشكلة و إن توفقنا في المستقبل ستكون لنا جلسات أخر .

﴿ عقلك ميزان عمرك ﴾

اثبت العلم الحديث إن باستطاعة الإنسان العيش مئات و ألوف السنين إذا تمكّن من المحافظة على خلايا جسمه حية .[1] يقـــول البروفيســـور ﴿ ميتا لينكوف ﴾ الخبير في حالات الوفاة :

إن جسم الإنسان يتألف من ثلاثين تريليون من الخلايا المختلفة و التي لا يمكن أن تموت كلها في لحظة واحدة و لا يتحقق الموت إلا بعد حـــدوث تغيرات كيميائية في المخ غير قابلة للإصلاح .

ويقول الدكتور﴿ متشنكوف ﴾ وهو اعلم علماء البكتريولوجيا الآن وهو تلميذ العلامة **باستور مكتشف الميكروبات :**

---

[1] ـضرب بعض العلماء لذلك مثلاً وهو أنه لو حضر رجل إلى بغداد و قال أنا امشي على الماء فإنه يجتمع لمشاهدته جميع أهل بغداد فإذ ا مشى على الماء و نظروا إليه تعجبوا كثيراً فإذا جاء آخر قبل أن يتفرقوا وقال أنا امشي على الماء أيضاًفإن التعجب منه يكون أقل وربما تفرق كثير من الحاضرين قبل أن ينظروا إليه فإذا جاء ثالث و قال أنا امشي على الماء أيضاً فربما لا يقف للنظر إليه إلا القليل فإذا مشى على الماء سقط التعجب من ذلك فإذا جاء رابع وذكر انه يمشي على الماء فربما لا يبقى أحد للنظر إليه و لا يتعجب منه (أقول)بل يصير حاله حال السفينة التي تمشي على وجه الماء و لا يتعجب منها أحد وهذه حال المهدي (ع).

ولما كنا نسمع إن آلة تطير في الهواء ويركب فيها الرجال و تقطع المسافات الطويلة بمدة قليلة لا نكاد نصدق ذلك (ولما) جاءت أول طيارة عثمانية إلى الشام في زماننا لم يبق أحد إلا وخرج للنظر إليها فلما جاءت مرة ثانية لم يخرج للنظر إليها إلا القليل و مق تكرر وجودها يصير حالها حال الطيور التي في الهواء لا يعجب منها ولا ينظر إليها أحد كما هي كذلك الآن (ولما) أخبرنا أن قطارات كالجبال تسير على وجه الأرض بغير شئ يجرها سوى البخار عجبنا كثيراً و لما تكرر نظرنا إليها صار حالها مثل حال العجلات التي تجرها الدواب (ولما) قيل لنا بوجود آلات يحصل فيها التخاطب من الأماكن البعيدة بدون اتصال بينها كدنا نقطع بكذب ذلك حتى تكرر واشتهر و صار كسائر الأمور العادية كذلك حال طول عمر الإمام المهدي كان في الزمان الغابر غريباً على الناس و اليوم كما ترون إمكانية طول عمر أي إنسان عادي .

إن جسم الإنسان له قابلية في أن تبقى خلاياه حيه ســـــتمائة ســـنة ولكن الذين يدركون أجلهم وهم دون الثمانين ما هو إلا لنقص في عضو من أعضائهم و من ثم الشلل الكلي لبقية الأعضاء وإيقـــاف لنشاطـــها . و يقول في مكان آخر أو بعلة طرأت عليه فلو تحـــامى الإنســـان بعقلـــه مواقع العلل استطاع أن يحيى إلى عمر طويل جداً .

فلو اكتشف الأطباء مصلاً لقتل الميكروبات أمكن الشيخ أن يعيـــش إلى ذلك السن وقد أعلن إنه اكتشف هذا المصل وانه أعطاه للأطباء لتجربته وكان إعلانه هذا سنة ١٩١٢للميلاد .

ثم قال ذلك العلامة بهذا الصدد : إن مما يساعد عوامل الفنـــاء للإنســـان ميكروبات كثيرة تنشأ في أمعائه فتمتص قوته الحيوية امتصاصاً فتســـرع به إلى الهلاك . وقد رأى **إن سبب ذلك هو أكل اللحم** فنصـــح بعـــدم تعاطيه لتقليل عدد هذه الميكروبات ثم أشار بوجوب مكافحتها بتعـــاطي اللبن الحامض .

قال و إنه هو نفسه قد أصيب بحمى متقطعة أتلفت قلبه و لكنـــه رغمـــاً عن ذلك استطاع بالتدبير الغذائي وإبطال أكل اللحم وتعـــاطي اللـــبن الحامض أن يعيش مدة طويلة عاملاً بلا كلل .

ولذلك ذكرت مجلة الهلال المصرية في عددها التاســـع ص ٧١٨ تحـــت عنوان **الإنسان سيعيش قريباً ألوف السنين** وأيدت هذا بأبحـــاث عـــدة تركنا ذكرها .[1]

يقول الدكتور هارولد مريمين :

---

[1] بعض هذا جاء في كتاب دائرة معارف القرن العشرين في حرف الحاء من كلمة حياة مجلد ٣ ص(٦٠٦)

انه يعتقد أن درجة ١٩٧ تحت الصفر الدرجة الـــتي يمكـــن أن تجمـــد الإنسان ومن ثم تخرجه إلى حيز الوجود وجاء في **المقتطف** الجزء ٢ مجلـــد ٥٩ أغسطس آب ســـنة ١٩٢١للميـــلاد ص ٢٠٦ قـــال الأســـتاذ **ريمندوبرل** : أحد أساتذة جامعة جونس هبكنس بأمريكا بأنه يظهر مـــن بعض التجارب العلمية إن بعض أجزاء جسم الإنسان يمكن أن تحيـــا إلى أي وقت أريد وعليه فمن المحتمل أن تطول حياة الإنسان إلى مائة ســـنة وقد لا يوجد مانع يمنع إطالتها إلى ألف سنة وسنفصل ذلـــك في الجـــزء التالي ..انتهى .

وقد فصل ذلك في الجزء الثالث ج ٥٩ سبتمبر أيلول سنة ١٩٢١للميلاد ص٢٣٨،ص٢٤٠ تحت عنوان **﴿ هل يخلد الإنســـان في الدنيـــا ﴾** واثبت في الموضوع : إن الإنسان لا يموت لأنه عمّر من كذا من الســـنين سبعين أو ثمانين أو مائة أو اكثر بل لأن العوارض تنتاب بعض أعضائـــه فتتلفها وقد أورد الدكتور **هنري اسميس** الأستاذ في جامعة كولومبيـــا في أمريكا بحثاً طويلاً فقال :

إن العلم قادر على أن يوصل عمر الإنسان إلى ٨٠٠ سنة أو اكـــثر .. ويؤكد هذا القول الدكتور **كيكورد هاوزر** الأمريكي حيث يقول :

إن علم الطب بمساعدة علم التغذية له القدرة على أن يزيد عمر الإنسان أضعافاً مضاعفة واستدلت هذا من إعمال الدكتور **جورج كلـــيز** أحـــد أساتذة جامعة هال بألمانيا .

وقد ذكرت **مجلة المقتطف** في العدد ٣ ســـنة ٥٩ ص ٢٣٩ : يقـــول العلماء الموثوق بعلمهم : إن كل الأنسجة من جسم الحيوان تقبل البقـــاء

إلى ما لا نهاية لهفي الإمكان أن يبقى الإنسان حياً ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرف حبل حياته وقد ثبـــــت عنـــد العلمـــاء إن التجدد لازم لجسد الإنسان دائماً و إن الخلايا تتجدد بعد تلفها إلا الخلايا العصبية و من ثم يعتقد الدكتور **لنس بـــــالنج** الحـــاصل علـــى جـــائزة نوبل للعلوم :

إن الإنسان أبدي إلى حد كبير نظرياً فإن خلايا جسمه تقوم بإصلاح ما فيه من الأمراض و معالجتها تلقائياً .

يقول أحد الكتاب : ﴿ فلا أشكال في أن رعاية قوانين الصحـــة و مـــا قرره الشرع و الطب في معيشة الإنسان و تدرجه في الحياة لها دخل عظيم في صحة مزاجه و طول عمره ﴾ .

فلو فرض اجتماع موجبات الصحة و أسباب حال الإنسان من كل وجه طال عمره إلى ما شاء الله و أصول هذه الأسباب و الموجبات ثلاثة :

الأول : يكون الإنسان حيث كان مادة صرفة في صلب أبيـــــه وســـاعة انتقاله إلى رحم أمه ونموه في بطنها ورضاعه في حجرهـــــا فـــان رعايـــة الوالدين لأسباب هذا الدور وهو الحجر الأول لحفظ صحة ولدهما فكـــم من ولد و ابن غالتة المنية في طفولته أو زمان شبابه وليس هنالك سبب إلا مرض الأب أو الأم أو عدم محافظتهما على أسباب حفظ الصحة و تـــرك مراعاتهما لموجباتها فالجناية في أمثال المقام من الوالديـــــن و مســـئولية حرمان الولد من الحياة الطبيعية عليهما وليت الآباء والأمهات فرضوا على أنفسهم هذه الرعاية و أخرجوها من المسئوولية .

الثاني : الهواء الذي يستنشقه و الغذاء الذي يأكله و المائعات التي يشربها و الألبسة التي يلبسها و المحيط و المكان الذي يعيش فيه فان رعاية موجبات الصحة و مقرراتها في كل أمر من هذه الأمور الخمسة من حيث الكم و الكيف و العمر و السن و القوة و الضعف و الزمان و المكان من أهم ما يدخل في موجبات صحة الإنسان وطول عمره فكم من إنسان مات قبل عمره الطبيعي وفقد الحياة المحبوبة عند كل ذي حياة بالذات لعدم مراعاة ما ذكرنا في أحد هذه الأمور الخمسة و قد صرّح جماعة من الأطباء و الدكاترة بأن أكثر الذين يموتون ليس بالأجل الطبيعي بل لعوارض خارجية نشأت من عدم رعاية مقررات حفظ الصحة في أحد هذه الأمور وقد نقل كلمات بعضهم حضرة الفاضل **فريد وجدي أفندي** في دائرة المعارف .

الثالث : العوارض الخارجية و الحوادث الكونية و الواردات القهرية من الحر و البرد الخارجين عن المتعارف أو من الآلام و الأسقام أو من المصائب و المؤلمات أو من الهموم و الغموم أو من الأعمال و الحركات فإن لها الأثر التام في حفظ صحة الإنسان و انحرافها وطول عمره و قصره فكم من إنسان قتله الحر و البرد أو أماته شدة الألم والسقام أو سلب حياته وقع المصائب و المؤلمات أو أبلى جديده تأثير الهموم و الغموم أو انحل جسمه من شدة الأعمال و الحركات و لولا ذلك لعاش طويلاً .

لو فرض الإنسان رعاية مقررات حفظ الصحة في الأصول الثلاثة المتقدمة فما هو المانع من أن يعيش إلى ما شاء الله و يتنعم في هذه الحياة مئات من السنين بل ألوفاً ؟

و في مدينة **مونتريال بكندا** كان الدكتور **هانس سيلي** يجري في مختـــبره بحوثاً حول ظاهرة الموت و عرض لمراسلي الصحف نسيجاً من الخلايـــا الحيوانية و صرّح بأن النسيج هذا ما يزال حياً و في حالة نشاط حيـــوي و أنه لن يموت أبداً.

وأضاف الدكتور قائلاً : إذا تمكنا من تحويل النسيج الإنســـاني بهـــذا الشكل فإن من الممكن أن يعيش الإنسان ألف عام [1] وأردف الدكتـــور قائلاً : وسأبين لكم من العوامل المؤثرة في إطالة العمر منها :

---

[1] ذكرت مجلة النجف ص٤٠ العدد الأول السنة الأولى ٩٦٦-١٣٨٥ إن جماعة من العلماء المحدثـــين أمثـــال الدكتور الكسيس كارل ، والدكتور جاك لوب والدكتور ورن لويس و زوجته و غيرهم قاموا بأجراء عـــدة تجارب في معهد روكفلر بنيويورك على أجزاء لأنواع مختلفة من النبات والحيوان والإنسان ، وكان مـــن بـــين تلكم التجارب ما أجريت على قطع من أعصاب الإنسان و عضلاته و قلبه و جلده وكليتيه .. فرؤي أن هذه الأجزاء (تبقى حية نامية ما دام الغذاء اللازم موفوراً لها) و ما دامت لم يعرض لها عـــارض خـــارجي و أن خلاياها تنمو و تتكاثر وفق ما يقدم لها من غذاء .

وإليك تجارب الدكتور كارل التي شرع لها في كانون الثاني سنة ١٩١٢ :

١ــ إن هذه الأجزاء الخلوية تبقى حية ما لم يعرض لها عارض يميتها أما من قلة الغذاء أو من دخول بعض الميكروبات .

٢ــ أنها لا تكتفي بالبقاء حية بل تنمو خلاياها وتتكاثر كما لو كانت باقية في جسم الحيوان .

٣ــ أنه يمكن قياس نموها و تكاثرها و ارتباطها بالغذاء الذي يقدم لها .

٤ ــإنه لا تأثير للزمن .. أي إنها لا تشيخ أو تضعف بمرور الزمن بل لا يبدو عليها أي أثر للشيخوخة بل تنمو وتتكاثر هذه السنة كما لو كانت تنمو و تتكاثر في السنة الماضية و ما قبلها من السنين .

و تدل الظواهر على أنها ستبقى حية نامية ما دام الباحثون صابرين على مراقبتها و تقديم الغذاء لها .

و يقول الأستاذ دموندو برل من أساتذة جامعة جونس هبكنس تعليقاً على نتائج الدكتور (إن كل الأجزاء الخلوية الرئيسية من جسم الإنسان قد ثبت أن خلودها صار أمراً مثبتاً بالامتحان أو مرجحاً ترجيحاً تاماً لطول ما عاشته حتى الآن) . ←

أ.**العامل البيئي** : للبيئة أثر كبير فالأجواء المعتدلة والهـــواء النقـــي مـــن السموم و الجراثيم و أشعة الشمس الكافية لها تأثيرها في إطالة العمر .

ب.نوع العمل : يعد الاستغراق في العمل والجهد النفسي و العصـــــبي المبذول من العوامل المؤثرة في إطالة العمر مع اشتراط الصفـــــاء الذهـــني و الفكري و بعكس ذلك فإن الملل الناجم عن البطالة و انحسار الجـــــهد العضلي و العقلي له آثاره في قصر العمر أكثر من الإجهاد النـــاتج عـــن العمل المتواصل و لهذا يلاحظ إن الوزراء و القساوسة يعمّرون أكثر مـــن غيرهم و هذا يعود إلى عملهم الدؤوب .

﴿ قبرك تحفره بأسنانك ﴾

ج.**الغذاء كماً و نوعاً** :فللغذاء دور و تأثير كبير في إطالة العمـــــر فقـــد لوحظ أن المعمرين كانوا يتناولون وجبـــــات خفيفـــة وقليلـــة و لهـــذا يقول **مونتين** :

الإنسان يحفر قبره بأسنانه ، فالتخمة و كثرة الأكل لها آثار مضـــــرة في حياة الإنسان فعنها تنجم أمراض مختلفة كالسكري و تصلب الشرايـــين وأمراض القلب و الكلية و من المؤســـف أن نشـــاهد البعـــض و هـــم يستعرضون عضلاتهم و يتباهون بقوة كاذبة قبل الإصابة بهذه الأمراض ،

➡و أكد تقرير نشرته الشركة الوطنية الجيوغرافية : أن الإنسان يستطيع أن يعيش ١٤٠٠ سنة إذا ما خدر مثل بعض الحيوانات لينام طيلة فصل الشتاء ، ويقول التقرير الآنف الذكر إن التخدير أثناء فصل الشتاء يطيل حياة الحيوان الذي يتعرض للتخدير عشرين ضعفاً بالنسبة لحياة الحيوان المماثلة التي تبقى ناشطة طول فصول السنة .

و قد لوحظ تضاؤل عدد الإصابات بمرض السكري في بعض البلدان إبان الحرب العالمية الأولى ويعود هذا إلى شح الغذاء و انتشار الفقر فكان لهذا دور في اعتدال الأكل فمن المعروف مثلاً إن الإفراط في تناول اللحوم بعد سن الأربعين يخلق مضاعفات خطيرة .

وفي هذا المضمار أثبتت تجـــارب **الدكتـــور** ﴿ **Mccay** ﴾ في جامعـــة ﴿ كورنل نيويورك ﴾ التي أجريت على الفئران إن السمان منها تعيـــش أقل من الفئران النحيفة و إن الفأر يصل إلى أوج قوته بعد أربعة أشـــهر ويصاب بالشيخوخة قبل السنة الثانية و يموت قبل السنة الثالثة .

وقد قام الدكتور بتربية مجموعة من الفئران على نظـــام غذائـــي غـــني بالفيتامينات و المواد المعدنية و توصّل إلى نتائج مدهشة حيث لاحـــظ إن مدة بلوغها استغرقت ألف يوم في حين كان متوسط ذلك أربعة أشـــهر فقط كما لاحظ إن أقصى فأر عاش ٩٦٥ يوماً بينما امتد العمر بفـــئران ﴿ النظام الغذائي ﴾ إلى مدد أطول بكثـــير كمـــا أنهـــا بقيـــت شابـــة و فتية ونادراً ما تصاب بالأمراض وكانت أذكي من أفراد صنفها .

وقد أجريت هذه التجـــارب علـــى حيوانـــات أخـــرى كالأسمـــاك و﴿ Rmphibien ﴾ و أعطت نتائج مشابهة .

إن التخمة و الإفراط في تناول الطعام له آثاره في قصر العمر و بالمقـــابل فإن سوء التغذية له نفس الآثار المدمرة .

اذن فالاعتدال هو الطريق المثالي في ذلك .

﴿ مَن وراء الشيخوخة ؟ ﴾

ثم سكت الدكتور برهة وتناول فنجان قهوته التي صارت باردة .. و ارتشفها بلذة ثم قال : اكتفي بهذا القدر من موضوعنا لانتقل إلى موضوع جذاب آخر هو الآن أيضاً موضع بحث و دراسة بين علماء الطب في العالم .

اجل ألا وهو موضوع **الشيخوخة** أو باصطلاح آخر الهرم ذلك المرض الذي لا بد منه .

والذي حين يهجم على الإنسان يجعله عرضة لنوبات التعب المستمر و العطل الدماغي المفزع الذي لا رادع له سوى الموت .

فطالما سمعنا عن انتحار الكثير من الممثلات البارعات بالجمال و الممثلين الذين امتازوا بالوسامة للتخلص من هذا المرض .

اقصد العجز والهزل ولربما شاهدنا الكثير من الشخصيات المميزة في السينما قد كسروا مرآة كل دار سكناهم كيلا تقع عيناهم على تجاعيد خدودهم أو تهدّل أبدانهم التي كانت غضّة قبل سنوات .

و شرق الدكتور بشدة و أخذ يسعل بألم .. فناوله الأستاذ أحمد قدحاً من الماء و أومأ بيده إليه من أن يستريح قليلاً و هكذا توسط الأستاذ الصالة وهو يقول بتألم : للأسف إن الدكتور يشعر بشيء من التعب أرجو من سماحتكم أن تستريحوا يا سيدي البروفيسور .

﴿ التفاتة مفيدة ﴾

ثم أردف الأستاذ مرة أخرى و هو يحدق نظره إلى الجميع ويقرأ الأحاسيس والمشاعر لدى البعض و التي يمكن أن يؤدي بها البحث سلبياً على أرواحهم والشبهات التي يمكن أن تحل في أذهان الطالبات حول موضوع طول العمر وأن تجعل للقنوط ممراً أسود في القلوب .

ومادام كل شيء بيد خالقه العظيم فالعمر كذلك .

إذن يجب أن يكون لموازين الشرع ما هو مطابق للكلام المتقول .

وصحيح أن عمر الإنسان مقدرٌ و محدود و لكن الأسباب التي جعلها الله للحياة و الموت يجب أن تراعى و تلاحظ بل نحن مأمورون بمراعاتها و لا يوجد تناقض بين هذه المعلومات وقوله تعالى ﴿ **إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾.[1]

حيث أنه عزّ من قائل لم يحدد مدة عمر الإنسان و كم يعيش مع العلم إن هناك الأعمال الكثيرة في ديننا الحنيف إذا قام بها الإنسان فستكون من مسببات طول عمره بل أكثر من ذلك جاء في القرآن الكريم النهي عن الضرر بالنفس بقوله تعالى ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾. [2]

---

[1] سورة يونس آية رقم (٤٩)

[2] سورة البقرة آية رقم (١٩٥)

فمن التهلكة أن لا يراعي الإنسان قوانين حفظ الصحة فيأكل أكـــثر أو أقل مما يجب و يمنع نفسه عن استنشاق الهواء الطلق و يحبس نفسه عـــن الأعمال العقلية فلا يروّض جسده على الأعمال العضلية و ينام في الغرف المحرومة من الشمس و من نعمة الهواء وكل ما خالف النظام الصحـــي أو الغذائي فهو يضعف قوته الحيوية و تحطّ من شدة مقاومتـــها للعـــوارض فتصاب معدته و أعصابه بالإعياء و يزداد عجزه شيئاً فشيئاً ثم يستســـلم للقدر فيتلاشى و لم يبلغ غير الخمسين أو الستين فيموت قبـــل موعـــده الطبيعي بنحو ستين أو سبعين سنة فضلاً عن أنه يعيش ما بعد الأربعـــين ضعيفاً مريضاً في آلام مستمرة .

ويموت الإنسان بعد الخمسين أو الستين في السن الذي تم فيه نضج عقله وكلّ فيه جلال الكهولة و صار أهلاً لأن يفيد الناس بعلمه وتجاربه .

يقول هؤلاء العلماء : فلو أنصف الإنسان نفسه وراعى قوانين الصحـــة حرفاً بحرف بلا غلو و لا تقصير ورمى بكل جهده الى تقوية قوّته الحيوية الكامنة فيه بإمدادها بما يقوّمها وإبعاده عنها ما يضعفها من إفراط في أكل وسهر وشغل ولهو وغير ذلك عاش عمره الطبيعي اللهم إلا إذا كان الخالق قد قضى عليه أن يموت بعلة طارئة أو حادث غير منتظر .

وإلى هنا أكتفي بهذا القدر من المعلومات لأن الفرصة التي أتيحت لي قـــد انقضت ولا أحب أن أزاحم الدكتور اكثر من هذا أليس كذلـــك يـــا دكتور ؟

الدكتور مبتسماً : أحسنتم على هذه المعلومات و صحيح ما تفضّلتم به .

﴿ صراعٌ مع الشيخوخة ﴾

ثم توجّه إلى الجميع قائلاً : و الآن نعود لنكمل بحثنا عن الشيخوخة **تصاب بعض الأعضاء الأساسية في البدن كالقلب والكلية و الكبد و المخ و الغدد بالإنهاك و الإجهاد و العجز عن إنجاز وظائفها على الوجه المطلوب .**

ويبدو ذلك في الإحساس بالضعف العام و إذا سألتم عن العوامل التي تؤدي إلى الشيخوخة فنقول :

يصاب المرء بالشيخوخة في سنين معينة وهي إن كانت تظهر في فترات معينة ولكن ذلك لا يعد سبباً لها فالشيخوخة ليست مرحلة زمنية بل ظاهرة جسدية يمر بها الإنسان عادة حيث تصاب أعضاء الجسم بالضعف والعجز عن القيام بوظيفتها بالشكل المطلوب فمثلاً **يضعف الجهاز الهضمي عن أداء مهامه ثم يسري ذلك** إلى بقية أنحاء الجسم فتتراجع القدرة الجنسية كما يحدث ارتباك في الذاكرة خاصة في تذكّر الأسماء و لكننا نشاهد في بعض الأحيان صفاءً روحياً بالرغم من الضعف الشديد في الجسد ومن هنا يمكن القول أن الشيخوخة ليست علة بل هي معلولة فمن الممكن أن تجد أشخاصا معمّرين يتمتّعون بحيويةٍ كاملةٍ و في المقابل نلاحظ أفراداً يعانون من الشيخوخة وهم في سن مبكرة .

إن الإنسان يولد و في جسمه أعضاء لها قابلية العمل متأثرة **بالعامل الوراثي** ثم تتعاقب المؤثرات الأخرى **كالبيئة و التغذية و أسلوب الحياة**

و مبدئياً إذا كان كل شيء يسير على ما يرام فمـــن الممكـــن اســـتمرار الإنسان في حياته ولكن عندما تتأثر أجهزة الجسم أو أحدها فإن الآثـــار سرعان ما تشمل سائر الجسد فالإنسان يعيش في بيئة ويقاوم هجمـــات الجراثيم في الخارج والسموم بالداخل وهذا له تأثيره الضار بالخلايا الحية .

وجسم الإنسان يضم مختلف أنواع النشاط الحيوي إذ يتوجب عليه تموين جميع أنحائه بالغذاء الكافي و الطاقة اللازمة و في نفـــس الوقـــت يصـــد هجمات الجراثيم و الفيروسات و في الوقت نفسه يقوم بإصلاح الأجزاء التالفة ، وطرد السموم و نقل الإغاثات إلى الأعضاء المصابة بالعجز انه في حرب مستمرة مع أعداء مختلفين و تواجهه التحديات في كل لحظة و لذا فإن عليه أن يكون في حالة إنذار دائمة .

ويستمد الجسم قدرته من الطاقة الناجمة عن الغذاء اللازم وذلك لتوفير ما يحتاجه البدن من وسائل الدفاع .

على إن الإنسان و مع بالغ الأسف لا يعرف حاجات جسمه و بالتـــالي فإنه يخذله في معركته مع الأعداء بل أنه يزيد الطين بلّة عندما يتناول أشياءً تخدم العدو وتفتح الطريق أمام غارات الجراثيم وفي المقابل تضعف وسائل الدفاع المطلوب ويخسر الجسم نضارته السابقة لتظـــهر عليـــه أعـــراض الشيخوخة والذبول .وقد يصاب الجسم بالشيخوخة بســـبب الإصابـــة ببعض الأمراض أو ممارسة عادات ضارة .

ويعتقد ﴿**متشنكوف** ﴾**إن السّموم الناجمة عن تخمّر ميكروبات الأمعاء هي وراء الشيخوخة** ولو أمكن تطهير الأمعاء منـــها لعـــاش الإنســـان طويلا .

وقد نشأ هذا الاعتقاد من نتائج بحوث أجريت حول ذلك حيث لوحظ أن نسبة المعمرين تزداد في بلاد **البلقان** خاصة في **بلغاريـــــا** وفي **تركيـــا** و **القوقاز** ووجدوا أن تناول اللبن الرائب هو السبب في ذلك لاحتوائـــــه على مادة **أسيد لاكتيك** الذي يقضي على تلك الميكروبات .

ومن البديهي أن طول أعمار الذين يعيشون في تلك المنـــــاطق الجبليـــة لا يتوقف فقط على نوع الغذاء بل هناك عوامل الوراثة والبيئـــة وأســـلوب الحياة وهذا ما نشاهد له نظيراً في سكّان المناطق الجبلية .

و يعلق العلامة الأميني على هذه النظرية قائلاً :

نظرية متشنكوف: لو تأملنا في نظرية العالم الروسي لاتضح لنـــا ســـبب البون الشاسع بين متوسط عمر الإنسان ومتوسط العمر لدى الحيوانـــات ويعلّل الشيخوخة والموت المبكر إلى تسمّم الأنسجة الناتج عن بكتيريـــــا الأمعاء التي تعد أخصب مكان في الجسم لإنتاج السموم .

ويشهد هذا الجزء من الجسم تولد (١٣٠) تريليون من الجراثيم و بطبيعة الحال فإن أغلبها لا يلحق أضراراً بالجسم بينما ينشأ عن بعضها السّـــموم التي يعود إليها تصلّب الأنسجة ثم ظهور الشيخوخة .

وتشير الجداول العلمية إلى أن الأسماك والزواحف والطيور تعمّر أكثر من الثدييات والسبب في ذلك يعود إلى انعدام وجود الأمعاء المولدة للبكتيريا ولهذا نجد عمر النعامة وهي تملك أمعاءً كبيرةً قصيراً نسبياً فهي لا تعيـــش اكثر من ٣٠ – ٤٠ سنة و تعيش الحيوانات المجترة أقل الأعمار بين سائر الحيوانات وذلك للتوسع والنمو في أمعائها و التي تولّد البكتيريا بنســـــب عالية .

ويعيش الخفاش الذي يتغذى على الحشرات عمراً أطول مـــن ســائر آكلات الحشرات بسبب صغر أمعائه .

ومن هنا يظهر أن للأمعاء تأثيرا أساسياً في تحديد عمر الإنسان ولكن ليس بالحجم الذي تصوّرهُ النظرية .

لقد عاش البعض حياة طويلة بعد استئصال هذا الجزء من الجسم الـــذي يعد غير أساسي في الجسم على الرغم من إن البعض من النـــاس عـــاشوا اكثر مع وجوده .

ويعتقد **البروفيسور سيلي** إن الموت مبدئياً هو نوع من أنـــواع المـــرض المتدرج و لا يمكن أن تكون الشيخوخة السبب الذي يؤدي إلى المـــوت ولو كانت الشيخوخة هي السبب لتوجّب أن نرى تفسّخ جميع خلايـــا الجسم و من ثم توقف جميع الأعضاء عن العمل .

و أضاف : إن علم الطب سيشهد تطوراً في المستقبل وسيتمكن من إعادة بناء الخلايا المتفسخة عن طريق إعادة زرع خلايا جديدة وهكذا ســـوف يتضاعف عمر الإنسان حسب رغبته .

ويرى **متشنكوف** أنه ينبغي تحديد فسلجة الشيخوخة الناجمة عن النمـــو الطبيعي والشيخوخة نتيجة التأثيرات الأخرى من قبيل السموم والأمراض و العوامل الأخرى وتنهض نظريته على أساس أن الشيخوخـــة مـــرض كسائر الأمراض الأخرى و أن الإنسان ينطوي على قابلية العيش لمـــدد طويلة وأنه ينبغي البحث لاكتشاف السبل الـــتي مـــن شأنهـــا معالجـــة الشيخوخة كمرض فسيولجي .

نظرية أخرى : ويقرر البروفيسور ﴿ **سيليه** ﴾ وزملاؤه بعد سلسلة مـــن التجارب الطويلة إن التغيرات الحاصلة في وضع الكالســـيوم هـــي وراء أعراض الشيخوخة ، وحول سؤال عن وجود مادة تحول دون حـــدوث الشيخوخة أجاب البروفيسور :

لقد توصّلنا إلى اكتشاف مادة ﴿ **آيرون دكستران** ﴾ وهي ذات أثر بالغ في منع ترسبات الكالسيوم في الأنسجة ويعقب قائلاً : انه لا يمكن بطبيعة الحال إعادة شيخ في التسعين إلى ما كان عليه في الستين ولكن من الممكن حماية شيخ في الستين من الابتلاء بخسائر شيوخ التسعين .

ويقول البروفيسور ﴿ **ايتنجر** ﴾ :

إن الأجيال القادمة سوف تصطدم بحقيقة الإنسان الخالد كما هو الحال في غزو الإنسان للفضاء و إن تطوّر العلوم سيكفل حياة الإنسان لألف عام .

مقتطفات من كتاب روسي :

كان الإنسان ومايزال يحلم بحياة طويلة وأمنية العمر الطويل من أمـــاني البشر منذ فجر الإنسانية وهاجسها الكبير وقد ظل الموت هـــو النهايـــة الأكيدة لكل كائن حي .

إن جسم الإنسان يتألف من عشرات التريليونات من الخلايا وإنها تصاب بالشيخوخة شيئاً فشيئاً و تؤمن حاجتها الغذائية بصعوبة كمـــا يحصـــل اختلال في تكاثرها .

ثم تموت لتتحـــول تدريجيـــاً إلى أنســـجة متصلبـــة وتدعـــي ظـــاهرة التصلب هذه بـــ ﴿ **Soclerose** ﴾فمثلاً يقال : ﴿ **سكلروز القلب** ﴾

أو ﴿ **سكلروز الشرايين** ﴾و غير ذلك و يرى **ايليا متشنكوف الطبيب و الفسيولوجي الروسي الكبير** أن هذه الظاهرة تنتج بسبب سموم ﴿ **تركسين** ﴾ الذي تنتجه الجراثيم المستوطنة بالأحشاء و هي وراء تسمم الأنسجة الحية تدريجياً ويعتقد **بافلوف** :

إن الجهاز العصبي و خاصة الضغوط الخارجية للمخ هي وراء ظهور الشيخوخة وإن التغيرات الروحية والتقلّبات النفسية كالحزن والكآبة واليأس والخوف هي وراء تحطيم الخلايا العصبية للجسم و إضعافها ومن هنا ينشأ التفسّخ العصبي الذي يجّر من خلفه أمراض الشيخوخة ومن ثم الموت .. وفي النهاية فإن خلود الإنسان أمرٌ مستحيل ولكن إطالة عمره أمرٌ ممكن .

﴿ علم الشيخوخة ﴾

منذ ثلاثة قرون تقريباً نشأ علم جديد تفّرع عن علم الأحياء هو علم الشيخوخة ﴿**Cetotolcgi**﴾ و يبحث هذا العلم في ظاهرة الشيخوخة وبواعثها وسبل التغلب عليها وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم آخر وهو الـ ﴿ ثيوثولوجي ﴾ أو معرفة الموت و يعتقد العلماء أن الموت ينشأ عن خلل في النشاط الحيوي حيث يحدث الموت فسيولوجياً وينصبّ الجهد الآن لرفع عمر الإنسان إلى الحد الطبيعي وهو في نظر العلماء اكثر مما هو عليه اليوم .

و يعتقد بعض العلماء إن الشيخوخة ضرب من الأمراض فهي مـــن أثـــر تصلب الشرايين وما إن استطعنا معالجته عن سبيل الأغذية الصعبة سوف نحرز انتصاراً على الشيخوخة و نطوي الزمن في شيبة و أخـــذوا هـــذا من كشفهم أسماك متجمدة في الثلوج القطبية فحسبوها ميتـــة و مـــا إن أطلقوها في المياه حتى حرّكت ذيلها إمارة الحياة و لما رجعوا أدراجـــهم وحققّوا آثار الثلوج وجدوها منذ خمسة آلاف ســـنة..و مـــن ثم بـــدأوا يفكرون في كيفية إمداد عمر الإنسان إلى أجلٍ به حيـــث يريـــد مـــن ذهاب و إياب إلى كوكب ينبغي بهما مئات من السنين أو ليدّخر نفســـه حيث يكتشف بلسم لرايه يشفيه .

و توقف الدكتور بطرس عن الحديث ثم حدّق بتأمل للجميـــع و نظـــر في ساعته قائلاً :

لقد أدركنا الوقت و أنا بدوري أشكر إصغائكم لهذا الحديث مع طـــول مدته رغم أن الكلام حول موضوع طول العمر حديث لا تنتهي معانيـــه وهو دائمًا مورد بحث و استطلاع عند علماء الأحياء و إن الذي حقّقتـــه و دوّنته و طرحته بحضوركم ما هو إلا شيء ضئيل وإن الوثائق الطبية هي في طريقها نحو البداية لمعرفتها عما لا تدركه العقول في عالمنا العجيـــب هذا .

ثم أحنى رأسه بخفه و شكر وحيّا الجميع ، و صفّق الحاضرون بحرارة لأن محاضرة الدكتور هي بمثابة فتح الأبواب العلمية و البايلوجية لمن يطرقـــها من طلاب العلم البشري .

و هكذا يخرج الدكتور برفق محيياً جمهور الطالبات بينما توسّط الأستاذ أحمد القاعة و بصوته الرؤوم قال معلقاً على حديث الدكتور :

لقد استدل الدكتور بطرس بآراء العلماء و المختصين الذين لم يكن لهم صلة بالإسلام ولا بالإمام المهدي ﴿ع﴾ و هم يؤكدون هذه الحقيقة التي أنتم في صددها و قد شملت المحاضرة حقائق بأن الإنسان سيأتي عليه يوم من الأيام سيعّمر آلافاً من السنين إذا توصّل إلى الحقائق منها ما ذكرناه سابقاً و التي عرفت إلى الآن و منها مازالت مجهولة سيدركها الإنسان في المستقبل أذن هي موجودة في عالم الوجود .

ونحن نتكلم الآن عن شخص الإمام وباعتقادنا أنه معصوم و معنى العصمة هو التكامل و معنى التكامل هو معرفة الأشياء و أنه لا يفوقه أحد من الناس فيتلخص من هذا إن الإمام المهدي يعلم و يعرف كل الحقائق الغذائية و المناخية و البيئية و المأكولات الجيدة والهواء النقي وكل ما يتصف به من أمور تطويل العمر فالإمام المفروض أنه يعرفها ويدركها فيتحصل من ذلك كله إن الإمام خطّط لنفسه أن يعيش هذا العمر الطويل من حيث معرفته بالطبيعة ..

إلى هنا علمنا بل قطعنا بهذا العلم الذي أمكن للإنسان أن يعيش العمر الذي عاشه الإمام المهدي بل أكثر و إن إيماننا و يقيننا بالخالق العظيم يقودنا بالاعتقاد بأن طول عمره الشريف و بقدرة المولى سبحانه شيء بديهي عنده جلّت قدرته و أضرب لكم بذلك مثلاً ؛

إن الناس عادة إذا وثقوا بشخص أو بمصدره يقبلون كل ما يصلهم منه و يخطئون أنفسهم إذا لم يستطيعوا هضم بعض ما يصلهم منه .

فأنت تضع نفسك في كف قائد طائرة تقلها و أنت لا تعرف شخصه و لاشيئاً من خبرته بالرغم من كل ما تسمع و تقرأ عن أخطاء قادة الطائرات و ربما تسلّم قلبك أو دماغك لمبضع جرّاح ثقة في المعاهد التي تخرّج الأطباء رغم كل ما يتناهى إليك من زيف الشهادات و مداهنة المعاهد لطلابها .

﴿ عمّروا و هم فتيان ﴾

و الجندي يخوض معركة ساخنة فيها الموت ثقة بقيادته التي يعرفها بالطيش و المجون و هكذا الناس يتعاملون مع المصادر التي استقطبت ثقتهم فيما يفهمون وفيما لا يفهمون من توجيهاتها اتكالاً على ثقتهم بها و يسفهون أنفسهم فيما يستغربون تطميناً لتلك الثقة أن لا تخدش فالأحرى بمن آمن بالله و رسله و رسالاته إيمان العقل و القلب والضمير أن لا يتردد في قبول ما قد يبدو لديه مستغرباً أو مستبعداً خاصةً و هو يعلم أن قدرة الله تعالى مطلقة و أن الله لا يعجزه شيء في الأرض و لا في السماء .

و إذا سألت أحد المؤمنين بالله هل الله يستطيع أن يخلق من هذه الأرض و من مثل هذه البيئات المعاصرة إنساناً يعيش بكامل نشاطه النفسي و الجسدي ملايين السنين دون أن يهدّه الزمان ؟

فسيكون الجواب حتماً بالإيجاب وطالما هو يحمل مثل هذا الإيمان بقدرة الله فكيف يمكن له أن ينكر أو يشكك في حياة إنسان عاش ألفاً واحداً من السنوات بعد أن ثبت في الأوساط المعتبرة ولا سيما القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه يحكي لنا عن المدة التي

لبث فيها النبي نوح﴿ع﴾ فقط في قومه فقال : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِم أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [١] أي إن رسالته صهرت بهذا القدر من السنين و أما عمره منها فهو ألفين وخمسمائة سنة كما ورد في بعض الأخبار والأحاديث الشريفة وهكذا بالنسبة إلى أصحاب الكهف فقال تعالى فيهم: ﴿ وَ لَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِاْئَةٍ سِنِين وَازْدَادُواْ تسْعاً ﴾ [٢] هذا اللبث فقط مع كونهم نيام فكيف بمن يأكل الطعام و يمشي في الأسواق فقد قال تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى عَاذَانِهِم فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدَاً ﴾ [٣] وفي آية أخرى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [٤]

و إذا وقفنا على أمر النبي يونس لنتج لنا مدى إمكانية طول العمر فيقول تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِحّينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٥] وهذا يدل على إمكانية طول عمر النبي يونس والحوت إلى يوم القيامة .. إذن فلا امتناع في بقاء الإمام حياً إلى يومنا هذا.

ونرى بعضاً من علماء السنة يستدلون بهذه الآيات على إمكانية طول عمر الإمام ومن هؤلاء :

محمد بن يوسف الكنجي الشافعي أحد أكابر علماء السنة في كتابة **البيان في أخبار صاحب الزمان** يقول في آخر باب ﴿ العشرون﴾ ما نصه **﴿ إن المهدي ولد الحسن العسكري فهو حي موجود باق منذ غيبته**

---

[١] سورة العنكبوت آية رقم (١٤)

[٢] سورة الكهف آية رقم (٢٥)

[٣] سورة الكهف آية رقم (١١)

[٤] سورة الكهف آية (١٨)

[٥] سورة الصافات آية رقم (١٤٣) ، (١٤٤)

إلى الآن و لا امتناع في بقائه بدليل بقاء عيســـى والخضـــر واليـــأس (ع) وأيضاً جاء في كتاب ﴿ **مطالب السؤول** ﴾ و أما عمره فانـــه ولد في أيام المعتمد على الله خاف فاختفى و إلى الآن .. وليس ببدع ولا استغراب تعميم بعض عباد الله المخلصين .

و أضيف على ذلك ملاحظة أخرى وهي من الواضح أن جسم الإنســـان بعد الموت يتعفن و يتلاشى ويصبح رميماً وينقلب إلى ديـــــدان ولكـــن تجارب التحنيط أثبتت إن هذا الجسم قابل لمقاومة آلاف السنين إذا اجري عليه التحنيط وهو مسحة من مواد كيميائية اسمها **المومياء** وهذا ما نجـــده ظاهراً في الأهرامات وهي عشرات الأجسام المحنطة من عهد الفراعنة إلى الآن وهي لا تزال متماسكة الأعضاء والأجزاء و خلايا جسم الميت رغم عدم تجدّدها إذا كانت صالحة للبقاء فهل تكون خلايا جسم الحي غـــير صالحه للبقاء فهذا الإنسان إذا استطاع أن يبقي جسم الميت لم لا يستطيع أن يجد وسيلة لحفظ جسم الحي ؟

وبهذا أنهى الأستاذ كلامه و قد أخذت القاعة اليوم جواً آخر لم تعتد عليه من قبل من ترحيب الطالبات بينما وقفت سعاد شاردة الذهن لا تتكلـــم فلاحظ الأستاذ ذلك فقال لها بلهجة مازحة و بأدب : سعاد هل تريدين مصادر البحث أيضاً ؟

ضحكت الطالبات من قول الأستاذ فانتبهت سعاد وقالت :

عفواً سيدي ولكنني كنت أفكر بعد أن ثبت لي و للجميع حياة المـــهدي وانه موجود وحي يعيش بيننا فإني أتساءل **إن الأصل في الإمام وجـــوده**

بين الناس وانتفاعهم منه فما فائدة وجود إمام غـــائب مســـتور عـــن الجميع ؟

وكيف له أن يـــؤدي دوره المطلـــوب منـــه قيـــادة هـــذه الأمـــة ؟

وما هو الأثر العام لهذا الإمام المدّخر للناس ؟

ابتسم الأستاذ قائلاً : انه سؤال جيد يا ابنتي ولكني أعدك بالإجابة عليه غداً لضيق الوقت الآن و لأننا أطلنا في جلستنا هذه .

شمس وإن جللها السحاب

الراديو يغذينا

قيادة غاندي عبر القضبان

﴿ شمسٌ و إن جلّلها السحاب ﴾

كالعادة يدخل الأستاذ أحمد القاعة فيجد الطالبات وقد شخصت أبصارهن نحوه في شوق لسماع ما جاء به من بحث في هذا اليوم .. توجه الأستاذ إلى سعاد قائلاً :

استمعي يا ابنتي إلى هذا التشبيه :

﴿ والذي بعثني بالنبوة انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس و إن جللّها السحاب ﴾ هكذا قال رسول الله ﴿ص﴾ في غيبة المهدي .

سعاد : **وما وجه الشبه بين الشمس والإمام المهدي يا أستاذ ؟**

الأستاذ : إن الشمس لها فوائد وآثار تترتب على وجودها وكونها فوق الأرض .

جاء في كتاب **المعرفة** ج ١ ص (١٠٥) وتبعد عنا الشمس بمقدار ٩٣ مليون ميلاً ﴿ تقريباً ﴾ و لولا ضوء الشمس لكسا الأرض ظلامٌ مع جليد مقيم و من ثم لانعدمت الحياة وأحب أن أنقل لكم ما جاء في **الطاقة وآفاقها المستقبلية** ص (١٦٩) : تعتبر الشمس مصدر الطاقات الأرضية قاطبة ﴿ عدا الطاقة النووية ﴾ فبفضل الشمس تتبخر مياه المحيطات والبحار.

و الرياح تسوق الغيوم بفعل الحرارة الشمسية أيضاً لتتســـاقط الثلـــوج و الأمطار فوق الجبال والأراضي فتجري الأنهار التي تزودنـــا شلالاتهـــا بطاقاتها المائية كما أن الأمطار تحي الزرع والنباتات فتزودنـــا بطاقتـــها الحرارية وطاقتها الغذائية ونحن نستفيد من النباتات و من لحوم الحيوانات التي تمدنا بالطاقة اللازمة لتحركنا لحياتنا .

كذلك فقد ظلت النباتات على سطح الأرض تتلقى أشعة الشمس طوال ملايين السنين ونتيجة للتسخين البطيء والضغط والتقادم تحولـــت هـــذه النباتات إلى فحم ونفط وغاز طبيعي .

أي إنها تحولت إلى الوقود المحترق بجميع أشكاله و الذي يمثل ٩٥٪ مـــن الطاقة التي يستعملها الإنسان المتمدن والخلاصة انه إذا أمعنا النظر نجد انه لولا الشمس و ما تمد به الأرض من طاقة تتحول حسب قوانين خارقـــة ومختلفة لاستحالت الحياة على وجه البسيطة .

صمت برهة ثم أكمل :

في عملية التمثيل الضوئي تقوم أشعة الشمس بتقـــديم الطاقـــة اللازمـــة لتحويل الكربون ﴿الفحم﴾ الموجود في الجـــو إلى منتوجـــات عضويـــة تستخدمها الحيوانات كطعام وهذه العملية هي التفاعل الأساسي الـــذي يتم بموجبه توازن البيئة و بهذه الطريقة قام الإشعاع الشمسي بإنتاج المواد القابلة للاحتراق .

تتألف الطاقة الشمسية من عدد كبير من الموجات الكهرو مغناطيسية التي تشبه كثيراً موجات الراديو و التلفزيون و مركباته الثلاثة الرئيسية هي:

الموجات الحرارية غير المرئية ، الأشعة الضوئية المرئيـــة ذات الألـــوان المختلفة و الأشعة فوق البنفسجية غير المرئية .

ومن المعروف أن الغلاف الجوي الأرضي يقوم بامتصاص القسم الأكـــبر من الأشعة فوق البنفسجية قبل أن تصل إلى سطح الأرض .

تولّد الشمس كميات هائلة من الطاقـــة تقـــدر بـــ ١٠×٤^٢٦ واط وتشعّها في الفضاء ولا يصل إلى الأرض منها إلا جزء واحد من مليـــارين فقط و مع ذلك فكمية الطاقة التي تصل سطح الأرض كبيرة جـــداً و مع إن الطاقة الشمسية تمثل أفضل آمالنا المستقبلية في الحصول على مصدر للطاقة نظيف و زهيد .

ملاك : **وما وجه الشبه بين الشمس المســـتورة بالســـحاب و الإمـــام المستور عن الوجود ؟**

الأستاذ : يقول علماء الدين وكتّاب الإمامية :

ربما يظن بعضهم أن المراد بغيبة مولانا المهدي المنتظر إنه لا يُرى ولكنـــه ظن لا حقيقة له بل المراد من غيبته إنه لا يُعرف بشخصه و عنوانه و لذا ورد في بعض الأخبار أنه إذا ظهر قال الناس :

أنا قد رأيناه قبل هذا .

نعم إن المهدي المنتظر غائب و لكنه يحضر المجالس و المحافل و يصـــاحب المسافر و الحاضر بل ربما حضر المواسم أيام الحج و أحرم و لبى وطـــاف و سعى و أتم حجه بزيارة قـــبر جـــده المعظـــم ﴿ص﴾و مراقـــد آبائـــه الطيبين﴿ع﴾ سيّما في الأوقات الخاصة فهو سلام الله عليـــه في المجتمـــع الإسلامي ولكنه لا يُعرف .

إن كثيراً من هذه الآثار التي مرّ ذكرها توجد أيضاً عندما تكون الشمس مختفية خلف السحب وليس هناك إلا نورها المعتم فقط مثلاً في الـــــدول أو المدن التي تكون السماء فيها ملبدة بالسحب عدة أشـــهر و لا تـــرى الشمس فيها توجد الحرارة و النمو في النباتات و الطاقة اللازمة لماكينـــة الحياة ونضج الغلات والفواكه و ابتسامة الزهور و الورود لـــذا فـــان في أشعة الشمس الساطعة من خلف السحب القسم الأكـــبر مـــن آثارهـــا و بركاتها وإن كان قسم صغير من آثارها ذلك الذي يحتاج إلى الإشعاع المباشر مفقوداً فمثلاً نعلم **إن لأشعة الشمس أثراً حياتياً خاصاً في جلـــد الإنسان و سائر أجهزة بدنه و في كل الموجودات الحية ولهذا الســـبب فإن المناطق المحرومة من الشمس تستعمل الحمامات الشمسية في الأيام التي تسطع فيها الشمس** و يعرض ساكنوها أجسامهم الظامئة لهذه الهدية السماوية لأشعة الشمس كي تمتص ذرات نورها هذا مضافاً إلى أن لضوء الشمس المباشر تأثيراً نافعاً بسبب أشعته فوق البنفســـــجية الـــتي تقتـــل الميكروبات و تصفي الجو .

ونستنتج من هذا إنه رغم إن طبقات السحب تمتص قسماً من آثار أشعة الشمس إلا إنها تبقى محتفظة بالقسم الأكبر منه .

وهذا هو معنى ﴿المشبه به﴾ أي الشمـــــس ، و الآن نعـــود إلى وضـــع ﴿المشبه﴾

أي وجود الإمام ﴿ع﴾ في حال الغيبة أن الأشعة المعنوية و اللامرئية لوجود الإمام ﴿ع﴾ بوصفها محجوبة خلف سحب الغيبة لها آثار مختلفة وعديدة

توضح فلسفة وجوده من تعطيل مسألة التعليم و التربية و الإمامية المباشرة وهذه الآثار هي حراسة دين الله .

﴿ الراديو يغذينا ﴾

صمت الأستاذ ثم اكمل قائلاً :

في الحرب العالمية الثانية عند محاصرة مدينة ﴿**لينغراد**﴾ بواسطة الجيش النازي اشتد البرد و القحط حتى كان الآلاف من الناس يموتون كل يوم واشتد الجوع كذلك لكن شعب لينغراد بقي يقاوم واستمر الحصار أربعة أعوام تماماً و في هذه الفترة كان راديو لنغراد يذيع دائماً أخباراً و أوامر من قيادة المقاومة و يدعو الناس إلى الثبات في حين كان ثلثا أعضاء المنظمة قد ماتوا في الأيام الأخيرة من الجوع لكن الراديو لم يوصل خبر موتهم إلى الناس وكان يذكر أسماءهم في نهاية البلاغات و الملفت للنظر هو أن راديو لنغراد لم يعمل لمدة يومين بسبب انقطاع الطاقة الكهربائية فاجتمع جمع غفير حول دائرة الراديو و قالوا :

إننا لا نريد طعاماً ولكن افتحوا الراديو مرة أخرى لنستمع إلى إعلانات منظمة المقاومة .

لقد أحببت أن انقل هذه الواقعة لأبين مدى أهمية وجود الإمام و القائد وانه السبب في بقاء أي مذهب من المذاهب فعلى طول التاريخ و بين الأمم الحية التي كان لها نهضات و ثورات نجد مصاديق كثيرة لهذا الأمر تبين إن القائد ما دام حياً فإنه و إن لم يوفّق للقيادة مباشرة لكن أتباعه

و المنظمات التابعة له كانت تواصل أعمالها وما إن تنتهي حياته حتى تشيع التفرقة بين الناس و تتشتت القوى و أفضل مصداق لكون القائد حافظـــاً للمذهب وسبباً لتشكيل الأتباع و الأصحاب هو **معركة أُحد** فقد أُشيـــع في تلك المعركة بين الجند نداء ﴿ **ألا قد قتل محمد** ﴾ اشتباهاً أو عـــن عمد . شاع هذا الخبر بين المسلمين في الوقت الذي كانوا يردّون هجوم العدو وعندما تيقّن المسلمون من قتل القائد فّر كل منهم إلى جهة وتركوا القتال و فكّر البعض بالالتحاق بالعدو .

لكن عندما كُذّب خبر قتل الرسول ﴿ص﴾ و علم المسلمين ببقائـــه حيـــا ورآه البعض بعينه اجتمع الجيش المتفرق مرة أخرى من أطراف جبل أُحد و من خلف الصخور حول النبي ، و بَيّنَ الله تعالى هذه الحقيقة في القرآن بقوله : ﴿ **وَ مَا مُحَمَّدُ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَبِكُمْ وَمَن يَنقَلِب عَلَى عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّكِرِينَ** ﴾[1] وان الجيش يسعى دائماً لان تكون رايته مرفوعة في ساحة الحرب أمام العدو بينما يسعى العدو دائماً للإطاحة براية أعدائه لأن ثبات الراية وارتفاع العلم سبب في أمـــل الجنـــود وســـعيهم الحثيث و قتالهم المستمر و هكذا وجود القائد للجيش في مقر القيادة مهما يكن صامتاً في الظاهر فانه يحرك في عروق الجند الدم الملتهب ويحرضهم على مواصلة القتال لشعورهم بأن قائدهم حيٌ ورايتهم خفاقـــة ومـــا أن يشيع خبر قتل القائد بين الجيش حتى يتلاشى الجيش العظيم فجأة وكأن ماءً بارداً صبّ على رؤوسهم أو غادرت الروح أجسادهم .

---

[1] سورة آل عمران آية رقم (١٤٤)

وما دام رئيس جمعية أو دولة حيّاً فانه يكون مبعثـــاً لحياتهـــا ونظامـــها وحركتها و إن كان في السفر أو على فراش المرض لكن سماع خبر موته ينشر على رؤوس الجميع غبار اليأس وفقدان الأمل .

﴿ قيادة غاندي عبر القضبان ﴾

الأستاذ : أجل يا بناتي فكلّما اعتقدت أمة بحياة قائدها وانتظاره لأمر الله بالظهور فإنها لن يصيبها اليأس ولن تفقد وحدة كلمتها بل تسعى لحفـــظ دينها ومذهبها وتربّي القوة لتحقيق هدفها .

ولكن لو قيل لهذه الأمة لا قائد لكم و إن قائدكم سيولد مســـتقبلاً و لا يعلم وقت ولادته بل إن أجداده لم يولدوا بعد فهل توجد في أمة كـــهذه روح الانتظار البناءة و المحركة؟وهل توجد فيها القوة اللازمة لذلك ؟

وهل تتأثر أنظمتهم المادية والمعنوية بهذه العقيدة أم إن هذا الأمر ينتـــهي بتشتت الأفراد وتفرقتهم وهلاك الدين ؟

ونقول لنوضح جيداً موقع الإمام ﴿عليه السلام﴾ الغائب أثره في المجتمـــع وفي أذهان أتباعه و المعتقدين به إن الإيمان بالنصر النهائي وانتظار المصلح العالمي ولو وصل إلى مرحلة المعرفة والعلـــم البنـــاء ســـيكون مصـــدرا للحركات والثورات والنهضات .

إن قائد حركة العدالة حتى وإن لم يكن بين أصحابه فانه مصدر لتلاحـــم صفوف أتباعه والمعتقدين بنهضته كما نرى في نهضة الاستقلال الهندية مع

وما دام رئيس جمعية أو دولة حيّاً فانه يكون مبعثـــاً لحياتهـــا ونظامـــها وحركتها و إن كان في السفر أو على فراش المرض لكن سماع خبر موته ينشر على رؤوس الجميع غبار اليأس وفقدان الأمل .

﴿ قيادة غاندي عبر القضبان ﴾

الأستاذ : أجل يا بناتي فكلّما اعتقدت أمة بحياة قائدها وانتظاره لأمر الله بالظهور فإنها لن يصيبها اليأس ولن تفقد وحدة كلمتها بل تسعى لحفـــظ دينها ومذهبها وتربّي القوة لتحقيق هدفها .

ولكن لو قيل لهذه الأمة لا قائد لكم و إن قائدكم سيولد مســـتقبلاً و لا يعلم وقت ولادته بل إن أجداده لم يولدوا بعد فهل توجد في أمة كـــهذه روح الانتظار البناءة و المحركة؟وهل توجد فيها القوة اللازمة لذلك ؟

وهل تتأثر أنظمتهم المادية والمعنوية بهذه العقيدة أم إن هذا الأمر ينتـــهي بتشتت الأفراد وتفرقتهم وهلاك الدين ؟

ونقول لنوضح جيداً موقع الإمام ﴿عليه السلام﴾ الغائب أثره في المجتمـــع وفي أذهان أتباعه و المعتقدين به إن الإيمان بالنصر النهائي وانتظار المصلح العالمي ولو وصل إلى مرحلة المعرفة والعلـــم البنـــاء ســـيكون مصـــدرا للحركات والثورات والنهضات .

إن قائد حركة العدالة حتى وإن لم يكن بين أصحابه فانه مصدر لتلاحـــم صفوف أتباعه والمعتقدين بنهضته كما نرى في نهضة الاستقلال الهندية مع

إن ﴿ **غاندي** ﴾ وضع في السجن من قبل الدولة المستعمرة لكن حركـــة ﴿**عدم التعاون**﴾ مع الدولة الاستعمارية تستمر بنشاطها و إن أفراد شعب الهند مع انهم لم يروا غاندي بينهم لكنهم واصلوا النهضة وتابعوهـــا لان غاندي كان و لا يزال حيا وكانت قدرته المعنوية توحّد شعب الهند .

وهنا تدخلت ملاك قائلة :

نعم يا أستاذي ولقد قرأت في كتاب إن حرب أسبانيا الداخليـــة قبـــل الحرب العالمية الثانية كانت تتواصل في كل الجبهات مادام قوّاد مريـــدي الجمهورية في سجن ﴿**فرانكو**﴾ ولكن عندما أعدم عدد منـــهم ظـــهر الانكسار في جيش روّاد الجمهورية فهّز الأستاذ رأسه وقال :

أحسنت يا ملاك فهذه جميعاً شواهد و مستندات تبين أن قائد الثورة وان لم يكن بين الناس إلا إن وجوده الحقيقي يكون سبباً للأمـــل والحركـــة و المعنوية .

سعاد : **ولكن لماذا لا يخلق الله تعالى الإمام ﴿ عج ﴾ وقت الظـــهور ؟**

الأستاذ : لو كان الأمر كذلك لم يكن لعنوان انتظار ظهور المصلح واقع خارجي لأن الناس يمكنهم أن ينتظروا الفرد الذي يعتقـــدون بحياتـــه ولا يأمل الإنسان و لا يفرح بإنسان لعله سيولد بعد سنين ليؤدي وظيفة المنقذ للناس .

في العالم المتلاطم والمضطرب عندما يصل الإنســـان إلى اليـــأس المطلـــق و يعرف فلسفة الجهل بوصفها سبيل حياته كيف يمكن تبشـــير النـــاس بوجود منقذ سيولد بعد سنين ؟

وهل إن الاعتقاد بالقائد الذي سيولد بعد سنين يمكنه أن يسبب خلق روح الانتظار البناءة لدى الناس ؟

إن الإنسان لكي يعرف دقائق و جزئيات الحياة ولأجل أن يواصل مسيره التكاملي يلزمه أن يستلهم من وجود قائد حي وان كان غائباً .

الانتظار أفيون الشيعة هكذا زعموا

حبل الكذب لقصير

صفات المنتظرين

اسم القائم محل إجلال عند أهل البيت

﴿ الانتظار أفيون الشيعة ﴾هكذا زعموا

عائشة فتاة بهية الطلعة ذكية ، بديهية الخاطرة ، تمتاز بهدوء خاص بين صديقاتها و لها روح متميزة تبحث دائماً عن الحقائق لان لها من الفكر ما تحويه مسائل عدة ألّمت بالكثير من العقائد الباطلة التي لصقت ببعض طوائف المسلمين و من هؤلاء الشيعة و بالخصوص حول قضية المهدي ، وبأن الشيعة تقول عندما غاب المهدي غاب في السرداب ومن اهم ينتظرونه للخروج ، و ولادته منذ سنة ٢٥٥ هجري وبقائه إلى الآن حياً، إلى أن استمعت للحوار الذي دار بين الأستاذ و ملاك وسعاد ابنة إمام المسجد وكيف أن والدها أكدّ صحة هذه الروايات من قبل علماء أهل السنة ، وكيف أنهم ذكروا ولادة الإمام و كذلك قضية السرداب وحيث قام الأستاذ بإبطال كل التهم الموجهة إلى الشيعة الإمامية والدفاع عنهم بالأدلة المنطقية وحيث استمعت إلى الدكتور المعروف بخبرته وثقافته وهو يسرد الوقائع عن إمكانية طول عمر الإنسان وأي إنسان .. وقد أجلى ما كان يدور في خاطرها وكيفية أن يعيش الإنسان هذا العمر الطويل .

وإن كل هذه الأدلة التي سمعتها إلى الآن جعلتها تشعر في قرارة نفسها بالرغبة في تغيير معتقداتها حول ما قيل عن الشيعة عامة وعن المهدي خاصة ، ولكن مازالت هناك بعض الشبهات التي تدور في ذهنها وهي إن فكرة الانتظار ما هي إلا شلٌّ وأفيون لطاقات الإنسان الشيعي و من ثم

تمنعه من القيام بواجباته و مسئولياته و تخدّره و تتركـــــه خائفـــاً ذليـــلاً للآخرين بعلة أن يظهر الإمام ليأخذ له بحقه وأن يعيش المنتظر في فـــــترة الغيبة مترقباً لليوم الموعود الذي يبدأه المهدي المنتظر بالقضاء على الكفـــر و بالقيام بتطبيق الإسلام ليعيش الحياة تحت ظلاله في دعةٍ وأمان وليـــس هذا المنتظر مكلف في زمن الغيبة بأية مسئولية .

و كان يدور في ذهنها أيضاً تلك المقولة لابن تيمية ﴿ إن قســـماً مـــن الشيعة لا يصلّون مخافة أن يخرج الإمام وهم مشغولـــون بـــالصلاة فـــلا يستطيعون اللحاق به ﴾ .

وهذا الذي يدور في خلجات نفسها وترغب أن تطرحه للأستاذ ولكنـــها تفكّر في كيفية الحوار مع الأستاذ أحمد بحيث لا تهتز شخصيتـــها أمـــام أستاذها الذي يكّن لها كل التقدير و الاحترام فاعتزازها بكبريائها يجعلها تفكر ألف مرة قبل القدوم على مثل هذه الخطـــوة فاســـتعملت هـــذا الأسلوب كسؤال فقط كي لا يحدث لها كما حدث لســـعاد في قضيـــة السرداب .

مشت ببطء إلى الأستاذ وهو يهم بالانصراف وسألته باستحياء قائلة :

أستاذ . أود أن استفسر عن موقف الشيعة من الإمام الغائب ماذا عليـــهم أن يفعلوا وهم ملزمون بإمامته . فما هو المطلوب منهم في هذه الفترة ؟

ابتسم الأستاذ وقد أظهر احترامه الشديد لها ولثقافتها و أدبها وقال :

هذا سؤال جيد يا عائشة واعدك بالإجابة عليه غداً لضيق الوقـــت الآن فأرجو المعذرة .

عائشة حسناً يا أستاذي و شكراً لك .

﴿ حبل الكذب لقصير ﴾

دخل الأستاذ أحمد القاعة وبعد أن ألقى تحية الصباح على الطالبات جلس ثم قال :

لقد سألتني زميلتكم عائشة بالأمس سؤالاً في غاية الأهمية وسأقوم بـــالرد عليها فقد كان سؤالاً عن كيفية انتظار الشيعة ﴿ الإماميـــة ﴾ للمـــهدي ﴿ عليه السلام ﴾ **وماذا يجب أن يفعلوه في زمن الغيبة ؟**

لهذا السؤال بحوث عديدة قد صنّفت من قبل علماء الإمامية و ســـأقتصر الجواب في ذلك جاء في منتهى الآمال للشيخ عباس القمي قال :

و من تكاليف العباد في أيام الغيبة انتظار فرج آل محمد ﴿ص﴾ في كل آن ولحظة و ترقب ظهور الدولة القاهرة و الســـلطنة الظـــاهرة لمـــهدي آل محمد ﴿ص﴾ و امتلاء الأرض بالعدل والقسط وغلبة الدين القـــويم علـــى سائر الأديان كما أخبر الله تعالى بذلك النبي ﴿ص﴾ و وعده بل أخبر جميع الأنبياء والملل بذلك وبشرّهم بمجيء يوم لا يعبد فيه إلا الله و لا يبقـــــى شيء من الدين مختفياً خوفاً من الأعداء ويذهب فيه البلاء عن المؤمنين .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال :

من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كـــان في فســـطاط القائم .

وهنا رفعت شيماء يدها مستفسرة : **و لكن يا أستاذي ما موقفنا نحـــن أزاء هذا الانتظار ؟**

فأجاب الأستاذ : نقول بقول علماء الدين :

إن المنتظر لظهور مولانا المهدي صاحب الأمر و الزمان عليه آلاف التحية والسلام هو في أن يتهيأ ما استطاع روحياً وجســـــدياً بإتبـــاع الـــورع و الاجتهاد وتهذيب النفس بالأخلاق و باقي الفضائل التي توصّل العبد إلى مرتبة عالية ومقام سام و من ثم يفوز بالقرب لآل العصمـــــة و الطـــهارة ويكون ممن أشار إليهم رسول الورى ﴿ص﴾ من المنتظرين لأجزل الثواب بعبارته ﴿ص﴾ **﴿ كالمتشحط بدمه ﴾** و لعمري إن هذا لا يتحقق إلا إذا كان ملازماً للطاعات غافلاً عن السيئات لينال النظر لقرة عين الرسول و آله المهدي الغائب و لا يخفى عليك إن انتظار الفرج لهو الكشف عـــن بلوغ مقامات الإنسان إلى مراتب الكمالات و هذا المقال هـــو مطـــابق للقواعد السليمة و الموازين الدقيقة التي أحكمتها الشريعـــــة الإســـلامية و موقفنا إزاء هذا الانتظار يا شيماء أن **لا يكون هـــذا الانتظـــار مـــن النوع المنهي عنه وهو شل لطاقات المؤمن الإصلاحية** ويمنعه من القيـــام بواجباته الحياتية و يجعله خائفاً خانعاً ذليلاً للآخرين حتى يـــأتي الإمـــام و يأخذ بحقه و يخلصه مما هو فيه من الظلم فهذا النوع من الانتظار كمـــا قال علماء الدين محرّم هدّام يؤدي إلى الوقـــوع في الأغـــلال والى شـــل الطاقات و الحمد لله مثل هذا الانتظار غير موجود في صفـــوف الفئـــات المؤمنة و **هذه كتب الشيعة الإمامية مملوءة بالحث على الجهاد و الأمـــر بالمعروف و النهي عن المنكر و وجوب الدفاع عن النفـــــس و المـــال و الدين** وغير ذلك و لم ترتبط هذه الأحكام بظهور الإمام المـــهدي ﴿ع﴾ من قريب أو من بعيد و لم يكن كما صوّر البعض بأن قسماً من الشيعة لا

يصلون مخافة أن يخرج الإمام وهم مشغولون بالصلاة فـــلا يســـتطيعون اللحاق به .

﴿ نداء الضمير ﴾

و عندما وصل الأستاذ إلى هنا اهتزت عائشة من مكانها قائلة :
و هل كان هذا كذباً و افتراءً وقد صدر من أحد علمائنا الأكابر و هـــو ابن تيمية في كتابه منهاج السنة ؟
فرد الأستاذ بأدب لكي لا يثير نقاشاً في هذه المسألة قائلاً :
اعلمي يا عائشة إن ما قيل عن الشيعة أكثر من هذا بكثير و ما عليهم إلا الصبر و الدعوة إلى رصّ الصفوف و لا يستمعون إلى بعض الحاقدين لان الشيعة ينظرون إلى أن كل الأمة الإسلامية أمة واحدة .
و لم يقل أحد من العلماء الأعلام و لم يُر من الأخبار المعتـــبرة بإســـقاط التكاليف الشرعية و الإصلاحية مع التمكن أو تـــرك الأمـــر بـــالمعروف و النهي عن المنكر أو المداهنة مع الكفار الأشرار وتسليم الأمور لهم بـــل يكون من إخلاصه وصدقه في ادعائه حب العدل وأجراء الحدود الإلهية .

﴿ صفات المنتظرين ﴾

و إذا وصل الطالب لهذه الدرجة بتوفيق الله تعالى و تأييده يكون ممن ينال

مرتبة المؤمنين الذين وصفهم رسول الله ﴿ص﴾ بأحسن صفة و أرفعـــــها على ملأ من أصحابه ﴿ كما في غيبة الشيخ الطوسي ﴾ ص ٢٧٥ بقولـــه ﴿ص﴾ : ﴿ سيأتي قوم من بعدكم الرجل منهم له اجر خمسين منكم .. قالوا : يا رسول الله نحن كنا معك ببدر وحنين و أُحد و نزل فينا القرآن! فقال : أنكم لو تحملون ما حملوا لم تصبروا صبرهم ﴾ .

و انه لشرف لهذا الإنسان المؤمن الذي يحافظ على ما أمر به و ينتهي عما نهي عنه في زمن عصر التكنولوجيا و انفجار علم الكمبيوتر الذي شغفت لها عقول البشرية واشتغل الإنسان باللاشيء عن الشيء العظيم إلا نخبـــة من المؤمنين .

ويتصفت هؤلاء بصفات المتقين و منها ما أخبر عنهم الإمـــام الصـــادق ﴿ع﴾بقوله : ﴿ إن فيهم الورع والعفة و الصدق و الصلاح و الاجتهاد و أداء الأمانة إلى البر و الفاجر و طول السجود و قيام الليل و اجتنـــاب المحارم و انتظار الفرج بالصبر و حسن الصحبة و حسن الجوار ﴾ .

و لم يحصل على هذه الصفات إلا من امتحن قلبه للايمان .

جاء في كمال الدين للشيخ الصدوق عن الإمام زيـــن العـــابدين ﴿ع﴾ في حديث طويل لأبي خالد : يا أبا خالد إن أهل زمان غيبتـــه القـــائلين بإمامته و المنتظرين لظهوره افضل من أهل كل زمان لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول و الأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلـــة المشاهدة و جعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله

﴿ص﴾ بالسيف أولئك المخلصون حقاً و شيعتنا صدقاً و الدعاة إلى ديـــن الله عز و جل سراً و جهراً .[١]

و هؤلاء يا شيماء هم الذين وصفهم رســـول الله « ص » و جعلـــهم إخوانه بقوله كما رواه المجلسي :

عن رسول الله ﴿ص﴾ انه قال : ﴿ اللهم لقنّي إخواني ؛ فقال له واحد : أما نحن إخوانك ؟ فقال : لا إنكم أصحابي و إخواني قوم في آخر الزمان آمنوا بي و لم يروني لقد عرفني إياهم الله و أسماءهم من قبل أن يخرجـــهم من أصلاب آبائهم و أرحام أمهاتهم لا أحد أشد بقيّة على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء أو كالقابض على أجمر الغضاء أولئـــك مصـــابيح الدجى لينجيهم الله من كل فتنة غرّاء مظلمة ﴾ .[٢]

و هؤلاء الذين وصفهم الرسول الأعظم و الإمام السجاد و الإمام الصادق هم الباقون بعد الغربلة .

كما جاء عن جابر الجحفي : قلـــت لأبي جعفـــر ﴿ع﴾ مـــتى يكـــون فرجكم ؟ فقال ﴿ع﴾ :

هيهات ؛ هيهات ؛ لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلـــوا ثم تغربلـــوا يقولها ثلاثاً حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو .[٣]

وفيه أيضاً عن يمان التمار قال : كنا عند أبي عبد الله ﴿ع﴾ جلوساً فقـــال لنا : إن لصاحب هذا الأمر غيبة ، المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد..

---

[١] كمال الدين مجلد ١ ص ٣٢٠ باب ٣١ ، بحار الانوار ج ٥٢ ص ١٢٢

[٢] بحار الانوار ج ٥٢ ص ١٢٤

[٣] اثبات الهداة ج ٣ ص ٥١٠

إلى أن قال : ثم قال : إن لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد و ليتمسك بدينه . [١]

و قال عليه السلام : و الله لتمحّصنّ و الله لتطيّرن يميناً و شمالاً حتى لا يبقى منكم إلا كل امرئ اخذ الله ميثاقه و كتب الإيمان في قلبه و أيّده بروح منه .

وعن رسول الله ﴿ص﴾: ﴿ ... إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر ﴾ .

فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : ﴿ أي و ربي﴾

﴿ وَ لِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ و يَمحَقَ الْكَفِرِينَ ﴾ . [٢]

و عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين ﴿عليه السلام ﴾ انه قال : ﴿ لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الإيمان و أيدهم بروح منه ﴾ . [٣]

و الخلاصة يا شيماء و لكثرة ما يحدث من المعاصي في ذلك الزمان حتى يذاب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره لان في ذلك الزمان يكون المنكر معروفاً و المعروف منكراً و يؤتمن الخائن و يخوّن الأمين ويصدّق الكاذب و يكذّب الصادق.

و أضيف لكم يا عائشة وكما ذكرت سابقاً انه لا يوجد من علماء الإمامية أحد يشار إليه بذكر ما جاء به بعض الأعداء ﴿ بان الشيعة في

---

[١] اثبات الهداة ج ٣ ص ٤٤٢

[٢] سورة آل عمران آية (١٤١) ، اثبات الهداة ج ٣ ص ٤٦١

[٣] اثبات الهداة ج ٣ ص ٤٦٤

هذه الفترة يستسلمون للظالمين و غير ذلك ﷺ. و إنما هنالك الكثير من هؤلاء الأعلام بيّنوا انه يجب على المنتظر أن يكون بالصفات التي ذكرناها سابقاً .

و من هؤلاء المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه **عقائد الإمامية** ص ٧٩ تحت عنوان عقيدتنا في المهدي يقول : مما يجدر أن نذكره في هذا الصدد و نذّكر أنفسنا انه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ ﴿المهدي﴾ أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم و ما يجب عليهم من نصرته و الجهاد في سبيله و الأخذ بأحكامه و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بل المسلم مكلف أبداً بالعمل بما انزل من الأحكام الشرعية و واجب عليه السعي لمعرفتها على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة و واجب عليه أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر ما تمكن من ذلك و بلغت إليه قدرته ﷺ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ﷺ فلا يجوز له التأخر عن واجباته بمجرد الانتظار للمصلح المهدي و المبشر الهادي فان هذا لا يسقط تكليفاً و لا يؤجل عملاً و لا يجعل الناس هملاً كالسوائم .

﴿ اسم القائم محل إجلال عند أهل البيت ﴾

وهذا الذي ذكرناه قليلٌ عما جاء في الأخبار عن بيت العصمة و الطهارة الذين اولوا اهتماماً خاصاً لموضوع ابنهم المنتظر و كانوا يرسّخون فكرة الانتظار عند محبيهم وحتى قيل انهم ﴿ع﴾ كانوا يظهرون احتراماً خاصاً

لذكر اسمه ﴿عج﴾ و هذا ما جاء به **الحافظ سليمان القندوزي الحنفي** في كتابه **ينابيع المودة** قال : أخرج الحميويني الشافعي في فرائد السمطين عن أحمد بن زياد عن دعبل بن علي الخزاعي قال : إلى ... أنشدت قصيـــدة لمولاي الإمام الرضا ﴿رض﴾ أولها :

مدارس آيات خلت من تلاوة و منزل وحي مقفرالعرصات
أرى فيئهم في غيرهم متقسماً و أيديهم من فيئهم صفرات
و قبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفات

قال لي الرضا ﴿ع﴾ : أفلا الحق هذين البيتين بقصيدتك ، قلت : بلى يا ابن رسول الله فقال :

و قبر بطوس يا لها من مصيبة ألّحت على الأحشاء بالزفرات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرّج عنا الهم و الكربات

قال دعبل : ثم قرأت باقي القصيدة عنده فلما انتهيت إلى قولي :

خروج إمام لا محالة واقع يقوم على اسم الله و البركات
يميز فينا كل حق و باطل و يجزي على النعماء و النقمات

بكى الرضا بكاءً شديداً ثم قال :

يا دعبل نطق روح القدس بلسانك أتعرف من هذا الإمام ؟

قلت : لا إلاّ إنني سمعت خروج إمام منكم يملأ الأرض قسطاً و عـــدلاً فقال : إن الإمام بعدي ابني محمد و بعده ابنه علي وبعـــد علـــي ابنـــه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم وهو المنتظر في غيبتـــه المطـــاع في ظهوره فيملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً و أمـــامتى يقوم فإخبار عن الوقت . لقد حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله ﴿ص﴾ قال : **مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة**.

وكتب أحد علماء الأمامية و هو عبد الرضا بن محمد من أولاد المتوكل كتاباً في وفاة الإمام الرضا ﴿ ع ﴾ اسمه **تأجيج نيران الأحزان في وفاة سلطان خراسان** و من منفردات هذا الكتاب إنه قال :

لما أنشد دعبل الخزاعي قصيدته التائية على الإمام الرضـــا ﴿ع﴾ و لمـــا و صل إلى قوله :

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله بالبركات

قام الإمام الرضا ﴿ع﴾على قدميه ، و أطرق رأسه إلى الأرض ثم وضع يده اليمنى على رأسه و قال :

اللهم عجّل فرجه و مخرجه و انصرنا به نصراً عزيزاً.

و سئل عنه أي القيام لذكر اسم القائم ﴿عج﴾ العالم المتبحر الســـيد عبد الله سبط المحدّث الجزائري فأجاب عنه في بعض تصانيفه بأنـــه رأى خبراً مضمونه إن اسم القائم ﴿عج﴾ **ذكر يوماً عند الإمام الصادق ﴿ع ﴾ فقام الإمام تعظيماً و احتراماً لاسمه ﴿ع﴾**.

وجاء عن اشتياق آل العصمة لرؤية المنتظر ﴿عج﴾.

فقد قال الرسول الأكرم ﴿ص﴾ :

بأبي و أمي سميي و شبيهي وشبيه موسى بن عمران . [١]

و عن الباقر ﴿ع﴾ :

أما أني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر . [٢]

وقال الإمام الصادق ﴿ع﴾ :

سيدي غيبتك نفت رقادي و ضيّقت عليّ مهادي و ابتزت مني راحـــــة فؤادي سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجايع الأبد. [٣]

وقال الإمام الكاظم ﴿ع﴾ :

.. بأبي من ليله يرعى النجوم ساجداً و راكعاً بأبي من لا يأخذه في الله لومة لائم بأبي القائم بأمر الله.[٤]

وصمت الأستاذ فقامت عائشة من مكانها مستفسرة وقالت :

أليس نحن من المنتظرين يا أستاذ ؟

فتحسّر و قال :

اسأل الله أن تكوني كذلك و أن تتحملي عبء ما يتحملون .

فأردفت عائشة و في صوتها مرارة و ألم :

و ما نوع التحمل يا سيدي ؟

فأجابها و في عينيه صور لمأساة :

---

[١] كفاية الاثر ص ٥٨ ، بحار الانوار ج ٥١ ص ١٠٩

[٢] غيبة الشيخ النعماني ص ٢٧٣ ، بحار الانوار ج ٥٢ ص ٣٤٢

[٣] اكمال الدين الباب الثالث والثلاثون ، غيبة الطوسي ص ١٠٥

[٤] فلاح السائل ص ٢٠٠ البحار٨٤

إنه زمنٌ بغيضٌ يا ابنتي الثابت فيه على دينه كالقابض على الجمر من النار تحترق يداه بيد أنه لا يصرخ و لا يصيح إنما يلهج لسانه بتعجيل الفرج .

إنه زمان الخبث حيث قال فيه الحسين ﴿ع﴾ :

﴿ الناس عبيد الدنيا.والدين لعق على ألسنتهم يدورون مـــا حلّـــت معايشهم و إذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون ﴾ .

توقف الأستاذ قليلاً و كأنه يعالج شعوره قائلاً :

إننا اليوم نرى هذا الحديث شاخصا ببعض ما هم حولنا من الناس و كأن الإمام ﴿ع﴾كان بزمننا هذا حيث يبين ما يـــدور في الأرواح و الأنفـــس يقرأ مكامن الناس .

لقد ابتعدوا عن طريق الله فازدادوا غياً و طغياناً حتى غضب الله عليـــهم ليحلّ سخطه و تستأذن السماء من خالقها بأن تمنع الخـــير علـــى أهـــل الأرض فتمنع قطرها والأرض تمنع نباتها .

وصمت الأستاذ ثم أردف وقد ارتفع صوته اكثر :

و كما قال أمير المؤمنين ﴿ع﴾ و هو يصور بعض أهوال ذلك الزمان :

﴿ و قطّعوا الأرحام و اتبعوا الأهواء واستخفوا الدماء و كـــان الحلـــم ضعفاً والظلم فخراً و كانت الأمراء فجرة و الوزراء ظلمة و العلماء خونة و الفقراء فسقة و ظهرت شهادة الزور و استعلن الفجور و قُبل البـــهتان والإثم و الطغيان و حليت المصاحف و زخرفت المساجد و طولت المنارة وأكرم الأشرار و ازدحمت الصفوف و اختلفت القلوب و نقضت العهود و اختلف الموعود و كان زعيم القوم أرذلهم و اتّقي الفاجر مخافـــة شـــره و صُدق الكاذب ﴾ .

و مسح الأستاذ عرق جبينه ثم تجّرع عدة جرعات من قدح للماء كـــــان على طاولته ثم نظر إلى الطالبات نظرة تعب و هو يقرأ ما على وجوههن من إحساس فرأى الكل منتظراً لسماع الباقي فأكمل : و كما قيل يكون قبل ذلك الزمان شرّ فتن يمسي الرجل مؤمناً و يصبح كافراً و هذه الحقيقة قد صرّح عنها الرسول ﴿ص﴾ حيث قال :

﴿ ليأتينّ على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من يفـــر مـــن شاهق إلى شاهق و من حجر إلى حجر كالثعلب بأشباله .

قالوا : و متى ذلك الزمان يا رسول الله ﴿ص﴾ ؟

قال : إذا لم ينل المعيشة إلا بمعاصي الله .

و يأتي على الناس زمان همتهم بطونهم و شرفهم متاعهم قبلتهم نساءهم و دينهم دراهمهم و دنانيرهم أولئك شر الخلق لا خلاق لهم عند الله .

وقال ﴿ص﴾ : سيأتي زمان على أمتي لا يبقى من القران إلا رسمه و مـــن الإسلام إلا اسمه يسمّون به وهم ابعد الناس منه ، مساجدهم عامرة و هي خراب من الهدى فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء منـــهم خرجت الفتنة و إليهم تعود ﴾.

و كما قال **الإمام علي ﴿ع﴾ في نهج البلاغة** [1] :

فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه و ركب الجهل مراكبه و عظمت الطاغيـــة وقلّت الداعية و صال الدهر صيال السبع العقور و هدر فنيق الباطل بعد كظوم وتواخى الناس على الفجور و تهاجروا على الدين و تحابوا علـــى

---

[1] نهج البلاغة ج ١ خطبة ١٠٤

الكذب وتباغضوا على الصدق ثم سكت الأستاذ ، وجلس إلى جـــانب طاولته و أردف :

فإذا كان كذلك كان الولد غيظاً و المطر قيظاً و تفيـــض اللئـــام فيضـــاً وتغيض الكرام غيظاً وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً و ســـــلاطينه ســـباعاً و أوساطه أكّالا و فقراؤه أمواتا وغـــــار الصـــدق و فـــاض الكـــذب و استعملت المودة باللسان و تشاجرت الناس بالقلوب و صار الفســـوق نسباً والعفاف عجباً ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً .

و اكمل الأستاذ قائلاً بافتخار :

و ما أروع و أكمل الوصف حينما وصف أمير المؤمنين قلـــوب هـــؤلاء قائلاً :

و لبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب و قلوبهم أنتن من الجيف و أمرّ من الصبر فعند ذلك الوحا الوحا العجل العجل ذلك إذا انتهكت المحـــارم و اكتسبت المآثم و سلّط الأشرار على الأخيار و يفشو الكذب وتظـــهر اللجاجة و يتباهون في اللباس و ينكرون الأمر بالمعروف و النـــهي عـــن المنكر حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من الأمة .

و كما قال الرسول الأكرم ﴿ص﴾ :

و حتى تحزن ذوات الأولاد و تفرح العواقر و يظـــهر البغـــي و الحســـد و الشح ويغيض العلم غيضاً و يفيض الجهل فيضاً و يكون الولد غيضـــاً و الشتاء قيضاً و حتى يجهر بالفحشاء و تزول الأرض زوالاً .

ثم تنّهد الأستاذ بحمرة من الألم وقال :

فعندها يذاب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره .

و قال الرسول ﴿ص﴾ :

عندها يحج أغنياء أمتي للنزهة و يحج أوساطها للتجارة و يحج فقراؤهـــــم للرياء و السمعة و عندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله و يتخذونه مزامير .

لذا نرى رسولنا الأكرم يقول :

سيأتي على أمتي زمان تخبث فيه سرائرهم و تحسن فيه علانيتـــهم طمعـــاً بالدنيا لا يريدون به ما عند الله عز و جل يكون أمرهم رياء لا يخالطـــــه خوف يعمّهم الله منه بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم .

وجاء في عقد الدرر عن أبي جعفر قال :

لا يظهر المهدي إلا على خوفٍ شديدٍ و زلزالٍ و فتنةٍ تصيـــــب النـــاس وطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب و اختلاف شديد بين النـــاس و تشتت في دينهم و تغيير في حالهم حتى يتمنى المتمني المـــــوت صباحـــاً و مساءً من عظم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضاً فخروجـــه يكون عند اليأس و القنوط من أن يرى فرجاً فيا طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره و الويل كل الويل لمن خالفه و خالف أمره .[1]

وصمت الأستاذ هنيئة ثم تناول قلمه و بدأ يتمشى وهو يقول :

لقد جاء عن الإمام الصادق ﴿ع﴾ في حديث طويل ذكر فيه بعـــض مـــا يظهر في الناس من المعاصي و البدع و الفتن قال :

---

[1] عقد الدرر ص ٤٣٤

فإذا رأيت أهل الباطل قد استعلوا على أهل الحق و رأيت الشر ظاهراً لا ينهى عنه و يعذر أصحابه و رأيت الفسق قد ظهر و رأيت المؤمن صامتاً لا يقبل قوله و رأيت الفاسق يكذب و لا يرد عليه كذبه و فريته و رأيت الصغير يستحقر الكبير و رأيت الأرحام قد قطعـــت و رأيـــت الآمـــر بالمعروف ذليلاً و رأيت الفاسق فيما لا يحب الله قوياً محمـــوداً و رأيـــت سبيل الخير منقطعاً و سبيل الشر مسلوكاً و رأيت بيت الله قـــد عطّـــل و يؤمر بتركه ، و رأيت الحرام يحلّل و رأيت الحلال يحّـــرم ، و رأيـــت الصلاة قد استخفّ بها و رأيت الناس قد قست و جمدت أعينهم و ثقـــل الذكر عليهم و رأيت السحت قد ظهر يتنافس فيه و رأيت المصلّي أنمـــا يصلّي ليراه الناس و رأيت الفقيه يتفقه لغير الدين يطلب الدنيا و الرياسة و رأيت الناس مع من غلب و رأيت طالب الحلال يُذم و يعيّر و طـــالب الحرام يمدح و يعظّم و رأيت رياح المنافقين و أهل النفاق دائمة و ريـــاح أهل الحق لا تحّرك و رأيت الصلاة قد أستخف بأوقاتها و رأيت النـــاس همهم بطونهم و فروجهم لا يبالون بما أكلوا و ما نكحوا و رأيت أعـــلام الحق قد درست . فكن على حذر واطلب إلى الله النجاة و اعلم إن الناس في سخط الله و إنما يمهلهم لأمر يراد بهم فكن مترقباً و اجتهد لـــيراك الله تعالى في خلاف ما هم عليه فان نزل بهم العذاب و كنت فيهم عجلـــت إلى رحمة الله .

و أطلت غائمة السكون على الجميع و شرد ذهن الأستاذ كمـــا كُـــنّ الطالبات كذلك ثم قال الأستاذ أحمد بهدوء و سكينة :

قال رسول الله ﴿ ص ﴾ و هو يخاطب سلمان عن أشـــــراط الســـاعة في حديث طويل قائلاً :

يا سلمان فعندها تليهم أقوامٌ إن تكلموا قتلوهم و إن سكتوا استباحوهم ليستأثرون بفيئهم و ليطئون حرمتهم و ليسفكّن دماءهم و ليملأن قلوبهم دغلاً و رعباً فلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبـــين مرهوبـــين . قـــال سلمان : و إن هذا لكائن يا رسول الله ؟

ــ أي و الذي نفسي بيده يا سلمان إن عندها يؤتى بشيء من المشـــــرق و شيء من المغرب يلون أمتي فويلٌ لضعفاء أمتي منهم و الويل لهم من الله لا يرحمون صغيراً و لا يوقرون كبيراً و لا يتجافون عن مسيء جثتهم جثة الآدميين و قلوبهم قلوب الشياطين .

إلى هنا جلس الأستاذ و هو يشعر بتعب في روحه وبدنه و لم يرفع رأسه غير أنه ظل منسدحاً على الكرسي و كأنة غارق في بحر أفكاره .

و في هذه الحالة التي كان يمر بها الأستاذ و كل الطالبـــات حيـــث عـــمّ السكون القاعة حتى من الهمسات إلا أن عائشة بقيت تخاطب نفسها عن الماضي الذي لم تجن منه سوى ثمار التعب و الفرار من الحقيقة التي أزهرت براعمها الآن .

ولكنها جمعت قواها فتسلّطت قائلة بصوت رقيق :

إنك يا أستاذ أجبت عما كان في خلدي و قرأت ما كانت من خواطـــــر تخالجني وذلك حينما ذكرت منع السماء قطرها و الأرض نباتها و إن الله الرحيم بعباده كيف يحيلهم لهذا المصير الأسود .

و لكنك بعد أن ذكرت إن هذا البلاء يحلُّ في زمن يتخلى الإنسان عـــن إنسانيته و سيره في عالم البهيمية الهوجاء التي ازلقته إلى نهاية الانحطـــاط الوجداني .

فاسمح لي يا أستاذ أن أتلو عليكم هذه الآية التي هي مطابقة و مصادقة لما تفضلتم به :

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً ﴾ .

فرفع الأستاذ نظارته عن عينيه ثم قال بلهجة المتألم :

اجل يا ابنتي إن هذا الحوار يذكرني بهذا المثل القائل :

﴿ مثلهم كمثل الدفلى زهرتها حسنة و طعمها مر ، كلامهم الحكمـــة و أعمالهم داء لا تقبل الدواء ﴾ .

ناقوس الخطر يدق

يخرب بيته بيده

ثقب الأوزون يهدد الأرض

وقت قنبلة موته

ضيف يموت جوعا

التكنولوجيا علمت الأسماك كيف تفر

سارق الماء ستحاكم أجياله

حيواناتنا الأليفة الشرهة

﴿ ناقوس الخطر يدق ﴾

تردف عائشة و في صوتها علامة السؤال و التعجب :

هل يمكن أن يسقط الإنسان ذلك المخلوق النبيل الذي شقّ طريقه من الكهف حتى وصل إلى عنان السماء ؟

هل يمكن تشبيهه بمقاتل يترنح في الحلبة سعياً وراء سقوط جسمه من بين الحبال لتتحطم جمجمته من أجل الحصول على جائزة ؟

يرد الأستاذ : نعم يا ابنتي إن ذلك هو المتوقع عند عدد كبير من العلماء لهذا المخلوق الذي يملك أكبر عقل من بين جميع المخلوقات لكنه يبدو وكأنه لا يستعمله و لا يستحقه و لذا يتنبأ هؤلاء العلماء بأن الإنسان و قد حشر نفسه في زاوية ينتظر الرصاصة القاتلة من فارس الأحلام الثاني و هو الجوع .

لقد أستأثر الإنسان في أيامنا هذه بملذات الكون لكن ظل متردداً في إعادة أي شيء إلى مكانه لذلك أصبح محشوراً فهل هنالك سبيل للخروج ؟

﴿ يخرّب بيته بيده ﴾

صمت الأستاذ ثم أردف قائلاً : **يقول الكاتب الأمريكي فرانكَلين برل** في كتابه **الجوع** :

هنالك فرق بين نهاية العالم و بين نهاية العالم كما نعرفها و النهاية الثانيـــة هي موضوع حديثنا فليس هناك أي عالم يتوقع أن تنهار النظم القائمة في الأرض سنة معينة لكن عدداً متزايداً من علماء الحيـــاة يـــرون ســـاكني المعمورة الحاليين في طريق التصادم مع الطبيعة و كما هو معروف فـــإن الطبيعة هي التي ستفوز .

يستطيع كل منّا خلال حياته أن يتوقع رؤية أول انهيار هـــام في النظـــام الأرضي ألا وهو انهيار الموارد الغذائية و بعد ذلك سوف تنـــهار النظـــم الأخرى .

فإذا لم تتحرك الأدمغة و بخاصة الشابة منها باتخاذ الإجراءات اللازمة فإنه لن يكون هنالك مجال لإنقاذ العالم من الغرق و أي حل يكون و قد فلت الزمام من يد هذا الإنسان و قد أخذ الأمور بحماقته لا بعقله .

ويذكر هذا الكاتب الأمريكي بعض الحوادث المؤلمة التي أدمت هذا العالم وثرواته .

يقول :

إن عدد الحوادث البيئية وعظمها في كل سنة يكبر بشكل متصاعد ففي سنة ١٩٧٤م حدث حوالي ١٠٠ حادثة بيئية كان منها ٦٤ من صنع الإنسان فقد تحطمت ٢٦ ناقلة نفط تسببت واحدة منها في انتشار ١٦ مليون جالون من النفط الخام قبالة شواطئ شيلي مما أدى إلى القضاء على الحياة لكثير من الأنواع الحية و من المؤسف إن فقدان ٣,٠٠٠ جـــالون من الحامض الكبريتي في نهر **هاوساتن** في **ماساشوسيتش** لم يثر الكثير من الاهتمام حيث إن النهر كان ملوثاً أصلاً نتيجة الفضلات الصناعية كمـــا

وقع في الولايات المتحدة سنة ١٩٧٩م سبع حوادث تسـرب نفايـات إشعاعية و ١٣ فتقاً في أنابيب النفط و ١٠ حوادث تحطم لناقلات نفـط عند الشواطئ واكثر من ٢٠ حادثة بما فيها حوادث كيماوية سامة .

و في سنة ١٩٧٩م و على الصعيد العـالمي غرقـت أو اصطدمـت أو انفجرت تسع عشرة ناقلة نفط بما في ذلك جنوح و تحطم **ارجوميرشانت** في كانون الأول من تلك السنة فتدفق منها ٧,٣٠٠,٠٠٠ جالون مـن النفط الخام في مياه جزيرة نانتوكيت .

و لعل النفايات الإشعاعية الناجمة عن عمل محطـات الطاقـة الذريـة وصناعة الأسلحة الذرية هي أكبر أخطار التلوث و أشدها رعباً حيـث أنه لا أحد ـ حتى أكثر العلماء خبرة ـ يعرف تماماً مدى خطورتها و إلى أي مدى ستظل كذلك و ماذا يمكنه أن يفعل إذا ما خرجت عن أقبيتـها المدفونة فيها وهي في معظمها سوائل بنية تظل تغلي و تفور نتيجة الحرارة التي تولّدها بالتآكل و تستمر في غليانها الذاتي لسنوات عديـدة و هـي تحتوي على بعض العناصر مثل عنصر الاسترنتيوم ٩٠ و البلوتونيوم ٢٣٩ و التي ينبغي حجبها عن البيئـة مـدة تـتراوح بـين ٦٠٠ سـنة إلى ٢٥٠,٠٠٠ سنة قبل أن تتلاشى مخاطرها لقد جرى دفن الكثير من مثل هذه المخلفات في خزانات لا يتوقع أن تطول حياتها اكثر مـن ٢٥-٣٥ سنة فماذا يحدث بعد ذلك ؟

وقد قال أحد الكتاب الأمريكيين :

لقد تجمع لدى الولايات المتحدة لإنتاج مزيد من القنابل الذرية و توليـد طاقة كافية لتشغيل فراشي الأسنان و مجفّفات الشعر الكهربائية حـوالي

١٠٠ مليون جالون من المواد القاتلة جداً و التي اخترعها الإنسان وهـــي لا تعرف حتى هذه اللحظة كيف تتخلص منها و قد قدّم علماء بدا عليهم الخوف رغم جديتّهم اقتراحات للتخلص من هـــذه النفايـــات تتضمـــن إطلاقها في مدار خارج الفضاء أو دفنـــها تحـــت طبقـــات الجليـــد في جرينلاند أو المناطق القطبية أو إغراقها في أعمق أعماق المحيط أو دفنها في مناجم الملح أو خزنها في خزانات فولاذية أو رصاصية على السطح حيث يمكن أن تفور و تغلي نفسها لبضع مئات أو آلاف من السنوات .

﴿ ثقب الأوزون يهّدد الأرض ﴾

عندما لا يفكر هذا الإنسان ببيته الصغير .. الأرض.. و لا يراعي قوانينه و متطلباته التي تحافظ عليه و إنما يفعل ما تحلو لـــه شهواتـــه و غرائـــزه فالنتيجة بلا شك يحل الدمار في ذلك البيت و الخراب و اليـــوم و **نحـــن نشاهد الغلاف الجوي للأرض وقد فقد قوته و استحكامه حتى سمعتـــم بالثقب الذي حلّ به و الذي سمّوه ثقب الأوزون .**

قال العلماء : إن هذا الثقب قد سمح للأشعة فوق البنفسجية بالتســـــرب إلى الأرض الأمر الذي يؤدي إلى العديد من الأمراض و الأوبئـــــة الـــتي تؤدي إلى فقد المناعة في الجسم و قالوا :

إن هذا الثقب أدى إلى ترحيل حزام المطر بعيداً عن هضبة الحبشة و إنه سيرفع درجة حرارة الجو و هذه ستكون كارثـــة و ذلـــك لان الجبـــال

الجليدية في القطبين ستنهار مما يؤدي إلى ارتفاع منسوب المياه في البحـــار و المحيطات فتغرق العديد من المدن الساحلية .

ثم يعتصر الألم قلب ملاك فتقول :

و كيف لا يكون ذلك و قد شاهدنا **مئات آبار الخليج تحـــترق و قـــد لوثت الأجواء المائية و الجوية و البرية** وكادت أن تخنقنا بدخانها الأسود و إن آثارها إلى اليوم مسببة لكثير من الأمراض لهذا الإنسان .

لان الذي ذهب من هذه السموم فهل تعتقد يا أستاذ انه ينتهي من هـــذه الأرض بلا ضرر عليها وعلى ثرواتها ؟

الأستاذ : كلا يا ابنتي إن جُرم الإنسان لا بد أن يرجع عليـــه بالعقوبـــة و لذلك نستمع إلى قول **ثورهيبردال** بأن المحيط هي بالوعتنا النهائية ذات الآلاف من الخلجان الصغيرة التي لا مخارج لها لأن كل ما نلقيه فيها يبقى في مكانه فترسّباتنا و قاذوراتنا الكيميائية و نفايات المواد الخام ومخلّفـــات النفط و كثير من بلايين الأرطال من الـــــ دي دي تي الـــتي صنعناهـــا و الـــ١٤٢ مليون طن من المواد الملوثة التي يحملها الهواء كل سنة و الـــتي يغسلها المطر و الثلج تتجمع في المحيطات لأنه ليس لها أي مخـــرج آخـــر و التبخر الذي يؤدي إلى سقوط المطر في أنحاء الأرض يأخذ الماء النقـــي فقط و يترك الرواسب السامة .

﴿ وقّت قنبلة موته ﴾

وحيث إن المحيطات لا مخرج لها فإن جميع المواد الملوثة التي نرميها فيها

بابتهاج تنتهي على امتداد الشواطئ و هي المهد الحقيقي لمعظم الحياة .

يقول الكاتب الأمريكي في كتاب الجوع : هناك ٢٠٧ مدن في أمريكا يحظر الطائرات و الباصات و القطارات أن تملأ خزانات مياهـــــها منـــها بسبب الشك في صلاحية مياهها للشرب لقد أضحت البحيرة العظمـــــى و التي تشكل أكبر بحيرة في سلسلة البحيرات العظمى و بالتالي مصـــــدر المياه لجزء كبير من وسط أمريكا مستودع لملايين الأطنان مـــن نفايـــات مصانع الحديد و الصلب الأمريكية و تشتمل هذه النفايات علـــى مـــواد خطيرة من الأنسجة الاسبستية و الاسبست سبب معروف جيـــداً مـــن أسباب سرطان المعدة و الأمعاء و لأن السرطان الذي يسببه الاسبســـت يحتاج من ٢٠ – ٣٠ سنة ليقتل أولئك الذين يشربون مثل هذا الماء .

فان ذلك يعطي صانعي الصلب وقتاً ليسخّروا ويؤخّروا الطرق البديلـــــة الضرورية للتخلص من فضلاتهم و بطبيعة الحال فإن إغراق الفضلات في البحيرات أرخص لكنها في الوقت ذاته القنبلة الموقوتة للموت فوق رؤوس الملايين .

﴿ ضيفٌ يموت جوعاً ﴾

و تسال شيماء : قرأت في الإحصائيات أن قدوم أكثر مـــن ٨٠ مليـــون مولود جديد كل سنة في العالم يحلّون ضيوفاً على هذه الأرض **فإذا كنـــا**

نسمع في هذه الأيام بمئات الملايين يموتون جوعاً فكيف نؤمن الغـــذاء للقادمين ؟

يردّ الأستاذ : هناك عوامل كثيرة أحدثت هذه المجاعـــة وســـتحدثها في المستقبل اكثر منها ما ذكرناه و أضيف على ذلك مع إن وقتنا القصير لا يسمح لي و لكني سأشير إلى ذلك إشارة :

إن من ضمن تكوين المجاعة هو **ظلم الإنسان لأخيه الإنســـان** و هـــذه الأخّوة التي امرنا بها الإسلام و إن الإنسان أخ للإنسان في الخلقة لا فقط في الدين كما يقول **أمير المؤمنين الإمام علي ﴿ع﴾ لمالك الأشتر حينما ولاه مصر : ﴿ اعلم يا مالك إن الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق ﴾** و لكن مع الأسف نـــرى بعـــض الأثريـــاء و الطبقة الغنية و المتملكين للثروات يستهلكون كميات من البروتين تزيد ثلاث مرات أو أربع عن الكميات اللازمة فعلاً للجسم .

ويعتبر هذا أمراً مفرحاً لكنه يظل مع ذلك نقطة محزنة بل إهانـــة لمئـــات الملايين من البشر على هذه الأرض و الذين لم يروا في حياتهم مثل هـــذه الأطباق الشهية لأنهم على حافة الموت من الجوع .

ففي العالم مئات من الملايين التي لم تحظ طوال حياتها بفرصة الحصول على وجبة مشبعة أو شمّت رائحة اللحم أو تذوقته في وجبة حساء و عـــلاوة على ذلك فهذا الإسراف يساعد على تلوث البيئة كما فطنـــت لذلـــك **البروفيسورة جين مير** في مركز جامعة **هارفارد** للدراســـات الســـكانية تقول: **إنهم يزعجون البيئة أكثر فهم يلوثون كل يوم مساحات أكبر من**

الأرض و الهواء و الماء كيميائياً و حرارياً و إشعاعياً أكثر ممـــا يفعـــل الفقراء .

إذن فالانفجار الاستهلاكي في الدول المتقدمة قد لا يقل خطورة علـــى المصادر عن الانفجار السكاني في الدول النامية .

وتضيف قائلةً : و لتقدير حجم خطر الأغنياء على المصـــادر يكفـــي أن تعرف أن ثلثي سكان العالم يقاسون من الفقر و قلة التغذيـــة أو ســـوء التغذية بينما الثلث الآخر يستخدم ثلثي إنتاج العالم .

وقد قال **روبرت مكنمار** ﴿ رئيس البنك الدولي ﴾ :

أنني لا اعتقد أن شعبنا يدرك الوضع اللاإنساني الذي يعيش فيـــه هـــؤلاء الناس فهناك بليونا إنسان في البلدان النامية و ٨٠٠ مليون إنسان منـــهم يعيشون حسب مقاييسنا على ٣٠ سنتاً في اليوم الواحد و قد قـــرأت في يوم سابق إن ١٠٠ ألف شخص ماتوا في إثيوبيا في العام الماضي نتيجـــة المجاعة وأن هناك ثلاثة ملايين على شفا المجاعة فيها .

﴿ التكنولوجيا علّمت الأسماك كيف تفرُّ ﴾

تقول سعاد : الحمد لله الذي رزقنا بحاراً تكفي حاجاتنا إن حلّ الجـــوع بالعالم . أليس كذلك يا أستاذ ؟

الأستاذ : لا يا سعاد لا تقولي هذا إن الإنسان و كما يقول **نبينا الأعظم:**

﴿ أحب لأخيك ما تحب لنفسك و اكره له ما تكره لها ﴾ .

يا ابنتي أوضح لك حقيقة أخرى فمن المتوقع أن يتبع اختفاء كثير من أنواع الحياة البحرية اختفاء الحيتان و السلاحف البحرية فقد كـــانت السلاحف ذات يوم غذاء اللحم الرئيسي للملايين .

يصف أحد علماء الحيوان في نيويورك **روجرباين** :

كيف اصطيدت أصناف من الحيتان بسبب التحسن الكبير في تكنولوجيا صيد الحيتان ولأن قوارب صيد الحيتان تضاعفت منذ الحرب العالمية الثانية و زادت قدرتها الحصانية بنسبة ثلاثة أضعاف فقد تقلّص صيدها إلى جزء من الذروة التي وصل إليها الصيد بعد الحرب و قد كانت الحيتان الزرقاء الضخمة أول ما شارفت على الفناء ثم انطلقت سفن صيد الحيتان في اثر حيتان الزعانف إلى أن هبط الصيد مـــن ٣٠ ,٠٠٠ إلى ٥ ,٠٠٠ طـــن في السنة ثم وقع الدور بعدها على حيتان(سي)و هـــــي حيتـــان اصغـــر و أقل قيمة ، ويجري الآن صيد حيتان العنبر دون أي حدود .

صمت الأستاذ برهة ثم قال :

بالرغم من أن مصائد الأسماك في العالم تبلغ ذروتها في التكنولوجيـــا و في الإعداد الهائلة من سفن الصيد ومعامل التعليب المجمّـــد إلاّ أن محصـــول الصيد غير كاف فهو ينخفض باستمرار كل سنة عمّا قبلها فمثلاً انخفض صيد بيرو خلال سنتين بمقدار يزيد قليلاً عن ٤, ٥ مليون طن و هي التي سجلّت رقماً قياسياً سنة ١٩٧٠م عندما اصطادت ١٢, ٥ مليون طـــن

ولذا تجدون إن آلاف مراكب الصيد من روسيا و اليابان والصين و بيرو و النرويج قد انخفضت كميات صيدها تتحرك نحو شطآن أخرى لتعيـــد العملية .

إن للأسماك طريقاً في الاختفاء العادل كما فعل سمك السردين عندما ابتعد عن كاليفورنيا و عن الشواطئ الأوربية و لا يزال الإنسان إلى اليوم يعرف القليل عن دورات التفقيس و النمو و التغذية و هجرة الأسماك .

﴿ سارق الماء ستحاكم أجياله ﴾

و ترفع ملاك يدها مستأذنة في الحديث قائلة :

وماذا عن الماء يا أستاذ هل هناك خطر من هذه الناحية ؟

فيرد الأستاذ قائلاً :

لقد ازداد استهلاك الإنسان للماء بشكل يلفت النظر بالرغم من أن هناك نقص دائم في كميات المياه الجوفية مثلاً نجد أن مستوى المياه قد انخفـــض في أريزونا بالولايات المتحدة مئة قدم عن مســـتواه الأول و انخفـــض في كاليفورنيا من ٣٠٠ قدم إلى ٧٠٠ قدم كما إن الماء في مـــدن أمريكـــا اللاتينية يقطع بضع ساعات في اليوم .

و كلما ازداد عدد السكان ازدادت الحاجة إلى إنتاج الغذاء وهذا بدوره يحتاج إلى مقادير كبيرة من الماء حيث أن عمل شريحة من الخبز يحتاج إلى ٣٥ غالوناً من الماء .

وفي عالمنا اليوم بدأ الحديث عن الجفاف جفاف أفريقيا و جفاف النيـــل و صدرت البحوث الطويلة التي أولها حيرة و آخرها حيرة حتى إن مصادر المخابرات الغربية قالت إن المعارك الرئيسية في العالم ستكون مـــن أجـــل الماء .

وقد كانت خلاصة مداولات مؤتمر الخبراء الذين اجتمعوا في باريس سنة ١٩٨٠م لدراسة قضايا الماء إن اكثر من ملياري إنسان لا يجـــدون مـــاء الشرب اللازم للبقاء و إن مئات الملايين من الناس ستموت من العطـــش سنة ٢٠٠٠م إذا لم تتخذ من الآن الوسائل الكفيلة بتأمين مياه الشـــرب للجميع .

أما إحصائيات هيئة الأمم المتحدة فتقول بأن ٣٨٪ فقـــط مـــن ســـكان البلدان النامية يجدون ماءً للشرب و إن ٢٨٪ من مجموع المزارعـــين في العالم يستطيعون الحصول على ماء الشرب .

أما منظمة الصحة العالمية فتقول :

بأن أربعة أخماس الأمراض الشائعة في العالم تنتقل بواسطة الماء الملوث مما دفعها إلى القول **بأن إنفاق المال على مشاريع لإنتاج الماء النقي أفضـــل من إنفاقه في المستشفيات .**

وجاء في خلاصة التقرير الذي قدمته ١٣ وكالة حكومية أمريكية للرئيس كارتر عام ١٩٨٠م و الذي استغرق أعداده ثلاثة ســـنوات إن المصـــادر المائية ستكون أكثر شحاً بسبب تضاعف طلـــب الســـكان للمـــاء وإن الغابات تختفي من العالم بما يوازي مساحة السويد سنوياً مما يجعل مخزون المياه أكثر ندرة .

و عندما أنهي الأستاذ بحثه عن المجاعة استأذنت منـــال بصوتهـــا المتغنـــج الجريء قائلة : عفواً يا أستاذ كيف لا يكون هذا الفقر بين بني البشر إذا حلّت القطط و الكلاب مكانها في الأهمية و التغذية .

و إن هذه الحقيقة رأيتها بأم عيني حينما كنت في أمريكا برفقة والـــــديّ و نحن نتمشى في متنزّه كبير حيث فيه محلات خاصة لبيع أجود الأغذيـــة و أغلاها لمن يملك قطة أو كلباً جيء بهما إلى حديقة المدينة للـــــترويح .

و كنا نرى كيف يقوم الزبائن بفتح علب اللحوم ذات العطـــر الفـــواح لإطعامها للكلاب الشرهة أو القطط المدللة حتى إن كلابهـــــم تعلـــق في أعناقها سلاسل ذهبية نقشت عليها أسماؤهم .

و شدّني العجب من أنهم يعترفون بهذه الظاهرة الأليمة حيث أنني قـــرأت في إحدى مجلاتهم الأسبوعية موضوعاً تحت عنوان :

﴿ حيواناتنا الأليفة الشرهة ﴾

إذ تقول :

يقدر المجتمع الإنساني عدد الكلاب و القطـــط في الولايـــات المتحـــدة ﴿بالثمانينات﴾بحوالي ١٠٠ مليون يصرف الأمريكيون عليها حوالي ٤ ,٥ بليون دولار سنوياً وتستهلك القطة الأمريكية الواحدة في السنة حـــوالي ١٥٠ باونداً من الأطعمة اللذيذة مثل ﴿لحم الأبقـــار و الكبـــد﴾ وقـــد يستهلك الكلب الأمريكي حوالي ٢٧٥ باونداً في الســـنة مـــن اللحـــوم المشوية و الجبن و تأكل القطة من الطعام أكثر مما يحتاج إليه إنسان بـــالغ أما الكلب فيأكل ما يكفي إنسانين .

وبهذا يكون يا أستاذ إن أطعمة الحيوانات الأليفة تكفـــي لإطعـــام ١٢٠ مليون إنسان في اليوم و إن معظم كلاب أمريكا و التي يتراوح عددها بين ٤٥– ٦٠ مليون تستهلك حوالي ٣, ٥ مليون طن من الطعام كل سنة ،

إذن يا أستاذ فالحيوانات الأليفة تستهلك من الطعام في السنة الواحدة مـــا يكفي لإطعام اكثر من ١٠٠ مليون إنسان في البلدان الفقيرة .

– وهنا ندّت عن الأستاذ حسرة و راوده التعب فاتكأ على عتبة النـــافذة و كأنه أراد أن يستنشق الهواء و لكنه في الحقيقة فتح الشباك و أغمـــض عينيه بكآبة وكأنه سابح ببحر الخيال الذي يرسم له الصور الماضية للفقر و المتاهة الإنسانية التي مرّت بين أمواج هذا البحث وتعرّق جبينه و هـــو يكلّم نفسه عن جناية الأرض يوم خدمت الإنسان ذليلة فدّمرها و هـــدّم معالمها ثم أدار وجهه و الانزعاج باد عليه وقال :

تشعّب بنا الموضوع و أخرجنا عن مطلبنا الأصلي فـــالأفضل أن نـــترك حديث المجاعة و نعود لصلب بحثنا الرئيسي .

و ساد السكون المكان و عيون الطالبات تلاحق الأستاذ الـــذي اســـتعد للخروج من القاعة و علامات وجهه منزجرة و لم تتجرأ أية طالبة لطرح سؤالها .وهكذا غادر و هو مكدور البال .

منع تبديل الأرض المنذرة

العقبات لم تمنعه من الوصول
الخسف في البيداء
المرحلة الأخيرة
القنطرة الأخيرة

﴿ متى تصل لأرضنا المحتضرة ؟ ﴾

كانت عائشة في ذلك اليوم شاحبة الوجه يبدو عليها التعب و الإرهـــاق فقد بدا واضحاً أنها لم تنم ليلتها فمنذ سماعها بالأمس ما قاله الأستاذ عن المجاعة و ما سيتعرض له العالم من جرّاء الأزمة السكانية وندرة الماء و قلة الغذاء كل هذا سبّب لها الذعر و الفزع و أخذت تفكر في المصير المجهول الذي سيواجهه البشر لذا فبمجرد أن دخل الأستاذ القاعة اقـــتربت منـــه و نظرت إليه بعينين مثقلتين وقالت و الكلمات ترتجف علـــــى شفتيـــها و بصوت خافت كأنه يخرج من أعماق الزمن :

سيدي **متى يخرج المهدي فينقذ العالم من الدمار و الموت و الظلم ولكي تعمرّ الأرض و تعيد بركاتها و خيراتها ؟**

نظر الأستاذ إليها بنظرة حانية ثم أشار إليها بالجلوس وقال :

سؤالك هو شبيه بما سئل به رسول الله ﴿ ص ﴾ قيل يا رســـول الله مـــتى يخرج القائم من ذريتك فقال ﴿ ص ﴾ :

مثله كمثل الساعة التي لا يجلّيها لوقتها إلا هو عز و جل لا تـــأتيكم إلا بغتة فإذا خرج أشرقت الأرض بنوره و وضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحد و تطوى له الأرض .

و كذلك عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر ﴿ع﴾ قال :

قلت له : إن لهذا الأمر وقتاً فقال : كذب الوقّاتون كذب الوقّاتون .[1]

---

[1] الزام الناصب للشيخ علي اليزدي الحائري ص ٢٦٠ .

و كذا عن عبد الرحمن بن كثير قال : كنت عنـــــد أبي عبـــد الله ﴿ع﴾ إذ دخل عليه مهزم فقال له :

جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظره متى هو فقال :

يا مهزم كذب الوقاتون و هلك المستعجلون و نجا المسلمون .[1]

و عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﴿ع﴾ قال :

سألته عن القائم فقال : كذب الوقاتون إنا أهل بيت لا نوقت ثم قـــال : أبى الله إلا أن يخلف وقت الموقّتين . [2]

ثم تمشى الأستاذ بضع خطوات و قال بهدوء :

إن هناك علامات ذكرها الرسول الأعظم ﴿ص﴾ و بها يتحقق الظهور فإذا وقع بعضها عُدَّ ذلك على قرب الفرج لا على وقوعه مبـــاشرة ، وهـــذه العلامات الخسف في البيداء و الصيحة من السماء و قتل النفس الزكيـــة و خروج اليماني و خروج السفياني .

ثم سكت و في عينيه فرحـــة الأمـــل و هـــو يتصفّـــح بعـــض الأوراق فاستأذنت سعاد الأستاذ قائلة :

﴿ العقبات لم تمنعه من الوصول ﴾

سمعت الكثير عن السفياني يا أستاذ و من مصادر شتى فهل عندك شيء عن هذا الرجل الخبيث ؟

---

[1] كتاب الغيبة ص ١٩٨ للشيخ محمد بن ابراهيم النعماني .

[2] كتاب الغيبة ص ١٩٨ .

فرفع الأستاذ رأسه و قال :

بلى يا سعاد و هو ما أحمله اليوم لكم ، إن موضوع السفياني متّفق عليه بين جميع الفرق الإسلامية .

ثم أخذ عدّة صفحات و بدأ يقرأ بتفكر و شروق روحي :

لقد ورد الكثير من الأحاديث و الأخبار الموثوق بها بأنه فرد من أفراد البشر و يعتبر خروجه من العلامات المحتومة لظهور الإمام المهدي ﴿ع﴾ و إن الأحاديث التي تتحدث عن السفياني و جرائمه تقشعرّ منها الجلود و تفزع منها القلوب .

و قد جاء بهذه الأحاديث و من طرق شتى منها : عن أبي مريم عن أشياخه قال : يؤتى السفياني في منامه فيقال له قم فاخرج .

فيقوم فلا يجد أحداً ثم يؤتى الثانية فيقال له مثل ذلك ثم يقال له في الثالثة : قم فاخرج فانظر من على باب دارك فينحدر في الثالثة إلى باب داره فإذا هو بسبعة نفر أو تسعة ومعهم لواءٌ فيقولون نحن أصحابك فيخرج فيهم و يتّبعهم ناسٌ من قُريّات الوادي اليابس فيخرج إليه صاحب دمشق ليلقاه و يقاتله فإذا نظر إلى رايته انهزم.[1]

و عن أمير المؤمنين عليّ ﴿كرم الله وجهه﴾ قال :

السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجلٌ ضخم الهامة بوجهه آثار جدري بعينه نكتة بياض يخرج من ناحية مدينة دمشق في واد يقال له الوادي اليابس ، يخرج في سبعة نفرٍ مع رجل منهم لواءٌ معقودٌ يعرفون به

---

[1] اخرجه ابو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب " الفتن " لوحة ٧٥ باب بدؤ خروج السفياني

في النصر يسير بين يديه على ثلاثين ميلاً لا يرى ذلك العَلَم أحد يريده إلا انهزم . [٢]

و جاء في كتاب عقد الدرر ليوسف المقدسي الشافعي ص ١٢٦ .

روي عن أمير المؤمنين في حديث طويل إلى أن قال :

تختلف ثلاث رايات راية بالمغرب ويلٌ لمصر و ما يحلُّ بها منهم و رايةٌ بالجزيرة و رايةٌ بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة ، ثم يخرج رجلٌ من ولد العباس بالشام حتى تكون منهم مسيرة ليلتين فيقول أهل المغرب قد جاءكم قومٌ حفاةٌ أصحاب أهواء مختلفة فتضطرب الشام و فلسطين فتجتمع رؤساء الشام و فلسطين فيقولون :

اطلبوا ملك الأول فيطلبونه فيوافونه بغوطة دمشق بموضعٍ يقال لها حرستا

فإذا أحس بهم هرب إلى أخواله كلب و ذلك دهاءٌ منه و يكون بالوادي اليابس عدةٌ عديدةٌ فيقولون له :

يا هذا ما يحلُّ لك أن تضيّع الإسلام أما ترى ما الناس فيه من الهوان و الفتن ؟

فاتق الله و اخرج أما تنصر دينك ؟

فيقول : لست بصاحبكم .

فيقولون : ألست من قريش من أهل بيت الملك القديم أما تغضب لأهل بيتك و ما نزل بهم من الذل و الهوان ؟

ويخرج راغباً في الأموال و العيش الرغد فيقول لهم :

اذهبوا إلى حلفائكم الذين كنتم تدينون لهم هذه المدة .

---

[٢] نفس المصدر السابق

ثم يجيئهم و يخرج في يوم جمعة فيصعد منبر دمشق و هـــو أول منـــبر يصعده فيخطب و يأمرهم بالجهاد و يبايعهم على أنهم لا يخالفون له أمراً رضوه أم كرهوه فقام رجلٌ فقال :

ما اسمه يا أمير المؤمنين ؟

فقال : هو **حرب بن عنبسة بن مرّة بن كلب بن سلمة بن يزيـــد بـــن عثمان بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حـــرب بن أمية بن عبد شمس** ملعون في السماء ملعون في الأرض أشرّ خلـــق الله أباً والعن خلق الله جداً و أكثر خلق الله ظلماً .

قال: ثم يخرج إلى الغوطة فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه و تتلاحق به أهل الضغائن فيكون في خمسين ألفاً ثم يبعث إلى كلب فيأتيه منهم مثل السيل، و يكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولد العباس فيفاجأهم السفياني في عصائب أهل الشام فتختلف الثلاث رايات ، رجال ولد العباس هم الترك و العجم و راياتهم سوداء و راية البربر صفراء و راية السفياني حمراء فيقتتلون ببطن الأردن قتالاً شديداً فيقتل فيما بينهم ستون ألفاً فيغلب السفياني و انه ليعدل فيهم حتى يقول القائل والله ما كان يقال فيه إلاّ كذبٌ .

و الله إنهم لكاذبون لو يعلمون ما تلقى أمة محمد ﴿ص﴾ منه مـــا قـــالوا ذلك .

فلا يزال يعدل حتى يسير و يعبر الفرات و ينزع الله من قلبه الرحمة .

ثم يسير إلى الموقع المعروف بقرقيسيا فيكون له بها وقعة عظيمة و لا يبقى بلدٌ إلا بلغه خبره فيداخلهم من ذلك الجزع ، ثم يرجع إلى دمشق .

إلى أن قال :

ثم يسير في سبعين ألفاً نحو العراق و الكوفـــة و البصـــرة ، ثم يـــدور الأمصار و الأقطار و يحلُّ عرى الإسلام عروة بعد عروة ، و يقتل أهل العلم و يحرق المصاحف و يخّرب المساجد و يستبيح الحـــرام و يـــأمر بضرب الملاهي و المزاهر في الأسواق و الشرب على قوارع الطـــرق و يحلّل لهم الفواحش و يحّرم عليهم كل ما افترضه الله عز و جل عليهم من الفرائض و لا يرتدع عن الظلم و الفجور بل يزداد تمرّداً و عتـــوّاً و طغياناً .

إلى أن قال : فتضرب الملائكة في السماء فيأمر الله عز و جل جبريل عليه السلام فيصيح على سور مسجد دمشق : ألا قد جاءكم الغوث يا أمّـــة محمد ، قد جاءكم الغوث يا أمة محمد قد جاءكم الفرج و هو المـــهدي عليه السلام خارجٌ من مكة فأجيبوه .

إلى أن قال عليه السلام :

فيجمع الله عزّ و جل أصحابه على عدد أهل بدر وعلى عدد أصحـــاب طالوت ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً كأنهم ليوث خرجوا من غابة قلوبهـــم مثل زُبر الحديد لو همّوا بإزالة الجبال لأزالوها عن موضعها الزيُّ واحـــدُ و اللباس واحد كأنما آباؤهم أبٌّ واحدٌ .

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام :

و إني لأعرفهم و أعرف أسماءهم .

وقال : ثم يجمعهم الله عز و جل من مطلع الشمس إلى مغربهـــا في أقـــل من نصف ليلة فيأتون مكة فيشرف عليهم أهل مكـــة فـــلا يعرفوهـــم فيقولون: كبسنا أصحاب السفياني .

فإذا تجلّى لهم الصبح يرونهم طائعين مصلّين فينكروهم فعند ذلك يقيّـــض الله لهم من يعّرفهم المهدي عليه السلام وهو مختـــف فيجتمعـــون إليـــه فيقولون: أنت المهدي ؟

فيقول : أنا أنصاري .

و الله ما كذب ، و ذلك انه ناصر الدين .

و يتغيب عنهم فيخبرونهم أنه لحق بقبر جدّه عليهما الســـلام فيلحقونـــه بالمدينة فإذا أحس بهم رجع إلى مكة فلا يزالون به إلى أن يجيبهم ، **فيقول لهم : إني لست قاطعاً أمراً حتى تبايعوني على ثلاثين خصلة تلزمكـــم لا تغيّرون منها شيئاً و لكم عليّ ثمان خصال :**

قالوا : قد فعلنا ذلك ، فاذكر ما أنت ذاكرٌ يا ابـــن رســـول الله ﴿ص﴾ فيخرجون معه إلى الصفا فيقول :

أنا معكم على أن لا تولّوا و لا تسرقوا و لا تزنوا و لا تقتلوا محرمـــاً و لا تأتوا فاحشة و لا تضربوا أحداً إلا بحقه و لا تكتزوا ذهباً و لا فضّة و لا تبراً و لا شعيراً و لا تأكلوا مال اليتيم و لا تشهدوا بغير ما تعلمـــون و لا تخّربوا مسجداً و لا تقبّحـــوا مســـلماً و لا تلعنـــوا مؤاجـــراً إلا بحقّـــه و لا تشربوا مسكراً و لا تلبسوا الذهب و لا الحرير و لا الديبـــاج و لا تبيعوا هارباً و لا تسفكوا دماً حراماً و لا تغدروا بمستأمن و لا تبقوا على كافر و لا منافق و تلبسون الخشن من الثياب و تتوّسدون التراب علـــى

الخدود و تجاهدون في الله حق جهاده و لا تشتمون و تكرهون النجاســـة و تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر .

فإذا فعلتم ذلك فعليّ أن لا أتّخذ حاجباً و لا ألبس إلا كما تلبسون و لا أركب إلا كما تركبون و أرضى بالقليل و أملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً و أعبد الله عزّ و جل حق عبادته و أوفي لكم و توفوا لي .

قالوا : رضينا و اتبعناك على هذا .فيصافحهم رجلاً رجلاً .

﴿ الخسف في البيداء ﴾

وعن عبد الله بن صفوان قال :

أخبرتني حفصة إنها سمعت النبي ﴿ص﴾ يقول : ﴿ ليؤمن هـــذا البيـــت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأوسطهم و ينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم ﴾ .[1]

و عن أم سلمه زوج النبي ﴿ص﴾ انه قال : يكون اختلافٌ عنـــد مـــوت خليفة فيخرج رجلٌ من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناسٌ مـــن أهـــل مكة فيخرجونه و هو كاره فيبايعونه بين الركن و المقام و يبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة و المدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال [2] الشام و عصائب [3] أهل العراق فيبايعونه ﴾ .[4]

---

[1] اخرجه ابو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن

[2] الابدال : جمع بدل و هم الاولياء و العباد سموا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم ابدل بآخر .

[3] عصائب : أي خيارهم .

[4] أخرجه جماعة من أئمة الحديث في كتبهم منهم الامام ابو داود و السجستاني في " سننه " و
و الامام ابو عيسى الترمذي في " جامعه " و
و الامام ابن حنبل في " مسنده " و ←

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :

يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين جيشاً فيهزمونهم فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيبعث إليهم جيشاً فيه ستمائة عريف فإذا أتوا البيداء فنزلوهـــا في ليلة مقمرة أقبل راع ينظر إليهم و يعجب و يقول :

يا ويح أهل مكة مما جاءهم فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحد فإذا هم قد خُسف بهم فيقول :

سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة فيأتي منزلهم فيجد قطيفةٌ قد خسف ببعضها و بعضها على ظهر الأرض فيعالجها فلا يطيقها فيعرف أنه قـــد خسف بهم فينطلق إلى صاحب مكة فيبشره **فيقول صاحب مكة :**

الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تخبرون فيسيرون إلى الشام . [1]

﴿ المرحلة الأخيرة ﴾

و تقع الضجّة بالشام : ألا إن أعراب الحجاز قد خرجوا إليكم فيجتمعون

◄ و الحافظ الامام ابو عبد الله بن ماجه القزويني في " سننه " .

و الحافظ ابو عبد الله النسائي في " سننه " .

و الحافظ ابو بكر البيهقي في " البعث و النشور " .

9 في كتاب المهدي سنن ابي داود ٤٢٢/٢و ٤٢٣ .

99 اخرجه السيوطي إن ابن ابي شيبه و الامام احمد و ابي يعلي و الطبراني في معجمه الكبير جمع الجوامع ١٠٢١/١ .

999 مسند الامام احمد ٣١٦/٦ .

(1) اخرجه الحافظ ابو عبد الله نعيم بن حماد في كتابه " الفتن " .

إلى السفياني بدمشق فيقولون : أعراب الحجاز قد جمعوا علينا .

فيقول السفياني لأصحابه : ماذا تقولون في هؤلاء القوم ؟

فيقولون : هم أصحاب نَبلٍ و إبل و نحن أصحاب العُدّة و السلاح أخرج بنا إليهم .

فيرونه قد جبن و هو عالم بما يراد منه فلا يزالون به حتى يخرجوه فيخرج بخيله و رجاله و جيشه في مائتي ألف و ستين ألفاً حتى ينزلوا ببحيرة طبرية فيسير المهدي عليه السلام بمن معه لا يحدث في بلد حادثـــــة إلا الأمـــن و الأمان و البشرى و عن يمينه جبريل و عن شماله ميكائيل عليهما السلام و الناس يلحقونه من الآفاق حتى يلحقوا السفياني على بحيرة طبرية .

و يغضب الله عز و جل على السفياني وجيشه و يغضب ســـــائر خلقـــه عليهم حتى الطير في السماء فترميهم بأجنحتـــها و إن الجبـــال لترميـــهم بصخورها فتكون وقعةٌ يُهلك الله فيها جيش السفياني و يمضـــــي هاربـــاً فيأخذه رجلٌ من الموالي اسمه صباح فيأتي به إلى المهدي عليه السلام و هو يصلّي العشاء الآخرة فيبشّره فيخفف في الصلاة و يخرج و يكون السفياني قد جعلت عمامته في عنقه و سُحب فيوقفه بين يديه فيقـــول الســـفياني للمهدي :

يا ابن عمي مُنّ عليّ بالحياة أكون سيفاً بين يديك و أجاهد أعـــــداءك ، و المهدي جالس بين أصحابه و هو أحيى من عذراء فيقول : خلّوه .

فيقول أصحاب المهدي :

يا ابن بنت رسول الله تمنّ عليه بالحياة و قد قتل أولاد رســـول الله ﴿ص﴾ ما نصبر على ذلك .

فيقول : شأنكم و إيّاه اصنعوا به ما شئتم و قد كان خلاّه و أفلته .
فيلحقه صباحٌ في جماعةٍ عند السدرة فيضجعه و يذبحه ، و يأخذ رأســـــه و يأتي به المهدي فينظر شيعته إلى الرأس فيكبرّون و يهلّلون و يحمدون الله تعالى على ذلك .

﴿ القنطرة الأخيرة ﴾

ما أن انتهى الأستاذ من موضوع السفياني أخرج منديلاً وأخـــذ يمســـح العرق عن وجهه فقامت سعاد من مستهل القاعة مستأذنة وهي تقول برقة صوتها مطأطئة رأسها و الحياء قد ارتسم على طلعتها :
المعذرة سيدي الأستاذ لدي موضوع جذّاب حول علائم ظهور المـــهدي ﴿عج﴾حيث سهرت مع والدي الليلة المنصرمة و قدّمت لـــه صفحـــات البحوث التي كانت ثمرة جلسات التوعية فقام بمطالعتها و بعث إليكـــم أسمى التحيات و أغدق لكم شكره الجزيل لأنني سألته عن رأيه في هذه المباحثات فأيّدها وأقرّ بسلامتها و حمد جهدكم المتواصل و المتميز لطرح مثل تلك المسائل التي هي بمثابة الغذاء الروحي لكل قلـــب ..ثم توقفـــت قليلاً و أردفت :
ولكن يا أستاذي سألني ما إذا تطرقنا لموضوع الدجال أم لا لأنه وضّح لي بأن الأمة الإسلامية في عصرنا هذا قد أغرقها مباهج و زبرج الحيـــاة و إن بظهور هذا الدجال ستكون الشعوذة سيرته لإغواء الكثير من الناس لأجل إطاحتهم في شراكه و ابتعادهم اكثر عن جـــادة الصـــراط القـــويم وإن

لإحداثه جزع و فزع على كل المؤمنين فحينما سمعت ذلك اشتقت لمعرفة تلك الأحداث فطلبت منه أن يسردها لي بمداركها و ها هي الآن بـــــين يدي فإن سمحتم بقراءتها فتكون من المتفضلين عليّ و على جهود والدي فنظر إليها الأستاذ نظرة الأب إلى ابنته لأنه يعلم مـــن أن ســـعاد مثـــال العفاف و الأدب و نموذج المكارم الحميدة داخل هذه القاعة .

فأجاب مبتسماً : أنا مستعد لسماعكم . تفضلي .

و بدأت سعاد ورنّات صوتها الحنون تدّق الآذان قائلة :

اسم الدجّال مشتق من الدجل و معناه التمويه و التغطيـــة و الخـــداع و الكذب وقد يخرج هذا اللعين في ظروف قحط و جدب و لقد عـــدّ المؤرخون وعلماء الدين خروج الدّجال من علامات ظهور المهدي وقـــد رووا عن رسول الله ﴿ص﴾ إن الدّجال يمتحن الله به عباده بما يخلق على يديه خوارق كثيرة يضلّ بها من يشاء من خلقه ويثبت معـــها المؤمنـــون فيزدادون بها إيماناً مع إيمانهم وهدى إلى هداهم و هو رجل من بـــني آدم خلقه الله تعالى ليكون محنة للناس في آخر الزمان يضلّ به كثيراً و يهدي به كثيراً و ما يُضلّ به إلا الفاسقين .

و عن أبي أمامة الباهلي قال :

خطبنا رسول الله ﴿ص﴾فكان أكثر خطبته حديثاً حدّثناه عـــن الدجـــال و حذّرناه فكان من قوله أن قال : **﴿ إنه لم تكن فتنة في الأرض منـــذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجّال ﴾** و ان الله لم يبعـــث نبيـــاً إلا حذّر من الدجّال و أنا آخر الأنبياء و أنتم آخر الأمم و هو خـــارج

فيكم لا محالة فإن يخرج و أنا بين أظهركم فأنا حجيج لكل مسلم و إن يخرج من بعدي فكلٌّ حجيج نفسه و الله خليفتي على كل مسلم .

إلى أن قال :

أيها الناس فاثبتوا و إني سأصفه لكم صفة لم يصفها إيّاه نبيٌّ قبلي ، إنه يبدأ فيقول أنا نبيٌّ و لا نبي بعدي ثم يثنيّ فيقول أنا ربكم و لا ترون ربكم حتى تموتوا و إنه أعور و إن ربكم عز و جل ليس بأعور و إنه مكتوبٌ بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب و إنّ من فتنته أن معه جنة و ناراً فناره جنة و جنته نارٌ فمن ابتلي بناره فليستغث بالله و ليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه برداً و سلاماً كما كانت النار على إبراهيم و إن من فتنته أن يقول لأعرابي أرأيت إن بعثت لك أباك و أمك أتشهد أني ربك ؟

فيقول له : نعم .

فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه و أمه فيقولان يا بني اتبعه فانه ربّك

إلى أن يقول :

و معه ملكان من الملائكة يشبهان نبيين من الأنبياء و لو شئت أن اسمّيهما بأسمائهما و أسماء آبائهما لفعلت واحدهما عن يمينه والآخر عن شماله و تلك فتنة . يقول الدّجال : ألست بربكم ؟

ألست أحيي و أميت ؟

فيقول له أحد الملكين : كذبت فلا يسمعه أحدٌ من الناس إلا صاحبه فيقول له صدقت فيسمعه الناس فيظنون إنما يصدّق الدجال و ذلك فتنة .

و إن قبل خروج الدجّال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جـــــوعٌ شديد يأمر الله السماء أن تحبس ثلث مطرها و يأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ثم يـــأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرهـــا كلّـــه فلا تقطر قطرةً و يأمر الأرض فتحبس نداتها كلها فلا تنبت خضراً فـــلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله فقيل :

ما يعيش الناس في ذلك الزمان ؟

قال : التهليل والتكبير و التسبيح و التحميد و يجري ذلك عليهم مجـــرى الطعام .

و توقفت سعاد و هي تنظر إلى أستاذها باستحياء قائلة :

هل أستمر بالقراءة يا سيدي ثم يراودها صوت زميلاتها من خلفها وهـــن يشجّعنها على القراءة و ظلّت عينا سعاد تنتظر الجواب من الأستاذ .

فقال لها مبتسماً : أجل تفضلي يا ابنتي .

فقالت : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رســـول الله ﴿ ص ﴾ سئل عن طعام المؤمنين في زمن الدجال قال : طعام الملائكة .

قالوا : و ما طعام الملائكة ؟

قال : طعامهم منطقهم التسبيح و التقديس فمن كـــان منطقـــه يومئـــذ التسبيح و التقديس أذهب الله عنه الجوع فلا يحس جوعاً .

و قال **يوسف المقدسي الشافعي في كتابه عقد الدرر في أخبار المنتظـــر** حديث طويل إلى أن قال : **فيخرج إليه الإمام بجيش مستمسكين بعروة التوحيد و أناس متنزهين عن عار التقليد يدّرعون الصـــدق و التقـــى**

و يتّبعون الحق والهدى ما منهم إلا فارسٌ لا يُفلّ سيفه و لا يخشى عثاره و شجاعٌ لا يثني عطفه و لا يدرك غباره فيخوضون في غمرات الحرب ويضرمون نار الطعن و الضرب و يلتف الساق بالساق وتلعب السيوف بالأعناق وتخضب الدماء الحناجر وتبلغ القلوب الحناجر فيمن الله تعالى على عبده و يؤيده بنصر من عنده و يقتل من أصحاب اللعين ثلاثين ألفاً أو يزيدون و ينعكس عليهم كل ما كانوا به يكيدون فلا ترى إلاّ أشلاء طريحة و موتى بلا لحود و أعضاء جريحة و أسرى بلا قيود و يحيق به مكره و يحصّ جناحه و يضيق ذرعه و تركد رياحه ويفلّ حدّه و تخمد ناره ويعفرّ خدّه و تنتهك أستاره و يقل عدده و ينهدم عرشه و ينقطع مدده و ينهزم جيشه .

و يترل روح الله عليه السلام فإذا رآه ذاب كما يذوب الرصاص و يولّي الشيطان حينئذ و له حصاص فيقتله نبي الله عيسى عليه السلام من غير ممانعة و لا مدافعة و ذلك بعدما يصلّي خلف الإمام المهدي و يبايعه و يتابعه و ينقسم ما بقي من جموعه بين موليّ الدبر و مقطوع الدابر و يستوعب الذل و الصغار الأصاغر منهم و الأكابر و ينطق الله تعالى كل ما يتوارون به بالتنبيه على قتلهم .

و يدخل المهدي عليه السلام بيت المقدس و يصلّي بالناس إماماً فإذا كان يوم الجمعة و قد أقيمت الصلاة نزل عيسى بن مريم عليه السلام بثوبين مشرقين حمر كأنما يقطر من رأسه الدهن رحل الشعر صبيح الوجه أشبه خلق الله عز و جل بأبيكم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام فيلتفت المهدي فينظر عيسى عليه السلام فيقول لعيسى :

يا ابن البتول صلّ بالناس .

فيقول : لك أقيمت الصلاة . فيتقدم المهدي عليه السلام فيصلّي بالنـــاس و يصلّي عيسى عليه السلام خلفه و يبايعه .

و يخرج عيسى عليه السلام فيلتقي الدجال فيطعنه فيذوب كما يـــذوب الرصاص و لا تقبل الأرض منهم أحداً و لا يزال الحجر و الشجر يقـــول يا مؤمن تحتي كافر أقتله .

هذا ما اختصرته في موضوع الدّجال مع تشعباته الكثيرة حيث راجعـــت كثيراً من الكتب فرأيتها تذكر هذا اللعين بإسهاب في أحداثه اللعينة و من هذه الكتب **صحيح البخاري و صحيح مسلم و أبو داود و الـــترمذي و أحمد وبن ماجة و مالك و الطيالسي و عقد الدرر و الفتن و الملاحم لابن كثير** و إذا أراد أحد أن يراجع فعليه بكتاب **مفتاح كنـــوز السّـــنة** الصفحات ١٨٦ ،١٨٧، ١٨٨ .

و عندما أنهت سعاد بحثها شكرها على هذه المبادرة الطيبة و تمـــنى لهـــا التوفيق و الاستمرار في هذه الأعمال المباركة .

ثم نظر الأستاذ إلى ساعته نظرة خاطفة ثم استدرك قائلاً بلطف :

قبل أن ننتهي من درسنا لهذا اليوم أود أن أخبركم من أن الامتحانـــات النهائية ستبدأ بعد أسابيع قليلة وإن البحوث التي سجلتموها عندكم حول الجهاد و المقاومة ستحدّد الدرجة التقديرية للامتحان النـــهائي فـــتردّدت الطالبات و ارتفع بعض الضوضاء فأشار الأستاذ بيده أن اصبروا .

فأردف : دعوني أنهي كلامي من فضلكن .. لقد صمّمت بمشاركة المدير من أن نذهب في رحلة خاصة إلى المتحف الحربي و الغرض من ذهابنا إلى

هناك هو تعرّفكم أكثر عن المقاومة حينما ترون عن كثـــــب الأســـلحة و المعدات التي استخدمت ضد عدونا و ستطّلعون أكثر عن واقع النـــاس حينما الاحتلال من خلال البوسترات الموجودة هناك و الكتب و المكاتب المتألفة من أناشيد و مسرحيات و أفلام و قصص خصّصت فقط لتتحدث عن الحرب و إيثار الجنود الأبطال من أجل النضال وطرد العدو .

لذا فإن هذه الرحلة واجبة فأرجو إخبار عوائلكم عن هذا لأن البحـــــث سيخصّص منه جانب كبير تتحدثون فيه عن مشاهداتكم لهذا المتحـــــف الأثري .

فقامت إحدى الطالبات بأمر من الأستاذ بتوزيع أوراق إمضاء الولي لتتم الرحلة .

ثم جمع الأستاذ أوراقه و شكر الجميع و خرج .

لقاء في المنحف الحربي

ملاك يحمل قربة ماء

﴿ لقاء في المتحف الحربي ﴾

و أعلن يوم الرحلة التي و عدهم إياها الأستاذ يوم بدئه ببحثه حول الجهاد و الحرب من أجل الوطن .

.. وهكذا اجتمع الكل في الباحة ، ثم تحرك الباص الذي يقلّ الطالبات إلى المتحف الحربي ،..الذي يحمل بطياته كل ذكريات الحرب التي ما يـــــزال دمارها ملحوظاً إلى الآن .

..كان الجميع مسروراً بهذه الرحلة العلمية التي ستكون ثمرتها تقريراً تقدّمه كل طالبة إلى الأستاذ ، فيكون من خلاله تحديد الدرجات النهائية لهـــــذا الفصل من الامتحانات .

و دخل الأستاذ برفقة عدة أساتذة في مقدمة الطالبات .

كان متحفاً مليئاً بالأسلحة و المعدات الحربية ، التي تذكّر الناظر بالحرب و الدمار التي حلّت بأرض الوطن .

كل الألوان هنا تصور الوحشية و الدمار ... حيث كانت بعض لوحات الصور المعلقة في أركان المتحف ، تمثّل أبشع المشاهد الأليمة ... مشاهد بكاء طفل يتيم ، أو أم تنحب و لدها ، أو لأب يحمـــــل جثمـــان ابنتـــه الصّغيرة .

ورقت العيون لتلك الصور و تأثر الجميع الذين كانوا يكتبون في صفحات أوراقهم ما يرونه ، و حيث كان مدير المتحف يشرح عن مأساة الحرب

و الدمار ، ..وعن المعدات الحربية المتطورة ، و عن جهاد الأبطال الذين ضّحوا بكل ما يملكون ، من أجل العقيدة و الإيمان .

.. و انتقل الجميع إلى غرفة مستطيلة الشكل ، غطّت جدرانها بالشبـــائك الحربية البنية اللون ؛ و تتوسط الصالة طاولة كبيرة مستديرة ، وضعـــت عليها ملفات و منشورات جداريه، رسم فيها بعـــض الخطـــط الحربيـــة البسيطة التي كان يستعان بها المجاهدون .

ثم طلب المدير إليهم بالجلوس على المقاعد الكثيرة التي كانت مرصوصـــة جنباً إلى جنب ، ثم تناول مسطرة فلزية .. و تقدّم إلى إحدى اللوحـــات المعلقة ، و بدأ يشرح عن عملية الدفاع ، على الخرائـــط الموجـــودة إلى جانبها .. كانت الآذان منصتة إليه ، و أزيز الأقلام يرتفع بـــين الحـــين و الآخر .. لقد كان المدير رجلاً فارع القامة ، قوي البنية .. في وجهـــه تجاعيد التعب ، يمتلك عينين حادتين ذكيتين مازالتا تتنسمان الحياة المليئة بالجهاد و العمل المثابر .. و حيث كان يرتدي الزي العسكري بشكـــل أنيق بارز ، و في كلامه تشعر بصدق الحديث ، و الواقعة الحربية كأنهـــا كانت غداً ، و في تلكم المنطقة ...، و هو يجســـد الوقـــائع الحساســـة للأبطال ، الذين نالوا الشهادة ، و الذين مايزالون في خدمة هذا الوطن .

.. كانت ملاك جالسة بالقرب من صديقتها شيماء ، إذ كانتا تتعاونـــان على كتابة ما يريناه أو يسمعانه من مدير المتحف .

لقد كانت الصور تمر بين أعين ملاك و كأنهـــا الأمـــس .. و حفتّـــها الذكريات ، واحدة تلو الأخرى ، يوم كانت تفتش عن الماء تائهة وسط

الدخان المتراكم ... و تنقطع خواطرها حينما سمعت صوت شيماء و هي تستأذن بالسؤال قائلة :

عفواً سيدي المدير .. لقد تحدث لنا أستاذنا المحترم حول الشعارات الكثيرة التي كان يطلقها المجاهدون ، .. لو سمحت أن تتحدث لنا عن ذلـــك ..، لأننا سمعنا أن شعار **يا مهدي أدركني** أخذ بألباب الشعراء فتغنوا به ؟!!

..و اشرأب عنق ملاك نحو المدير، و انبثق من عينيها وميض الأمل مـــــرّة أخُرى ، و كأنها كانت غافلة عما كان يدور حولها ، فقال المدير :

أجل صحيح ما تفضلتي به .. و الحقيقة أن لهذا الشعار ســـــرٌّ خـــاص لا يعلمه أي أحد ، لأنه ينطلق من الروح ، و القلب و العقل ، فيبث الرعب في قلوب الأعداء .

.. إننا لم نستعمل تلك المعدات الحربية التي ترونها أمامكم ، و إنما وقعت في أيدينا عن طريق هذا الشعار الذي جعل الأنذال يـــــهربون فزعـــين ، تاركين لنا مآدب الأسلحة التي استطعنا أن نحاربهم بها .

..أجل إن هذا الشعار كان بمثابة السلاح الفتاك ، الذي يستطيع المجـــاهد أن يستفاد منه ... ثم تحسر و قال بشوق :

إنها أيام مليئة بالنضال ، و حب الشهادة .. و أن لشعار **يا مهدي أدركني** الأثر الكبير في رفع معنويات شبابنا المجاهد ، و هو حقيقة يعترف بها كل المجاهدين الذين كانوا معي على درب النار .

لقد كنا نهجم على معسكرات العدو ، و نحن نحمل بين أيدينـــــا قنـــاني النفط ، و البترين ، ثم نطلق هذا الشعار الجبار ، فنرى الأعداء ينـــــهزمون هاربين ، كهروب الظلمة من النور .. و أراد تكملة حديثه الشيق لولا أن

شاباً وسيم الطلعة ، بارز الملامح ، يخبره عن اتصال هاتفي مستعجل يطلبه للحضور .

.. عندها يترك المدير محله مستأذناً تاركاً الشاب مكانه لتكملة موضوعه .

﴿ ملاك يحمل قربة ماء ﴾

..وهكذا يبدأ الشاب حديثه ، و هو مطأطأ رأسه ، حياءً أمام الجميـــع ، الذين لمحوا في طلعته المتواضعة و وسامته المشرقة ، دوافع الحب ، و معالم الأدب و الايمان .

.. و ما إن سمعت ملاك صوته .. دققت بالنظر إليه و كأنّ هذا الصوت قد سمعته من قبل ، .. ثم فزعت من مكانها ، و هي واضعةً يديها علـــى فمها ... و أحسّت بدقات قلبها ترتفع و تنخفض ، فلحظتـــها شيمـــاء و قالت باستغراب :

ماذا يا ملاك ، ثم أخذت بيد صديقتها فرأتها باردة .

فأردفت : ماذا يا عزيزتي هل أنت مريضة ؟!!

فأجابتها ملاك و الرعب و الأمل في قلبها و صوتها مرتبك :

كلا .. لاشئ كلا .. و لكن هذا الشاب أرعب روحي أُقسم مـــن أنـــه هو..أجل هو بعينه إنني أسمع نفس ذلك الصوت الذي أنقذني .

و ارتسمت الفرحة على وجه شيماء ، و هـــي تطـــالع الشـــاب تـــارة و صديقتها تارة أخُرى .

.. وما هي سوى دقائق غادر الشاب المكان بعد أن شكـــره المديـــر .. و واصل موضوعه .. و لكن ملاك تسلّلت على حـــذر مـــن الجمـــع ، و تتبعت خطوات ذلك الشاب ، و لاحظتها شيماء فتركتها لسماع مادة الموضوع .. و هكذا أخذت رجلا مـــلاك تســـرع الخطـــى ..فـــأحس بها الشاب ، و لكنه تركها ، واستمر في طريقه ، و ما أن دخل إحـــدى الغرف المكتوب عليها : من **أرشيف الحرب** دخلت خلفه دون استئذان ، فوجدتها صالة كبيرة جـــداً ، تحـــوي الكثـــير مـــن الكتـــب المبعـــثرة و الطاولات المتفرقة التي جلس عليها عدد كبير من الشباب ، و تمشـــت خطوتين و قالت بتعب :

هل تسمح لي بالجلوس .. فأجابها متعجباً :

أجل بالطبع ..ثم حاول الشاب أن يرتّب من وضـــع الطاولـــة و الأوراق المتفرّقة عليها ، و لكن لا فائدة كل شيء حاضر للطباعة فلا يستطيع ان يرتّب شيئاً لئلا يشتبه عليه باقي الصفحات .

هذا ما قاله الشاب لملاك .. فأعتذر مبتسماً مطأطأ رأسه و قال بهدوء :

هل أستطيع أن أقدم خدمة للآنسة !!

فقالت و شفتاها ترتجفان : شكراً .

وضاع الموضوع من ملاك لتحرّجها و حياءها ، و لكنها قالت :

ما الذي تريدون طباعته ؟!

فابتسم و هو مايزال ينظر إلى الأرض :

هذا الذي ترينه أمامكم ، ثم تناول دفتراً فخماً و قدّمه إليها قائلاً :

هنا أرشيف خاص بالقصص الحربية ، .. نحن عدة من المجاهدين ، قمنـــا بتأليف هذا الكتاب عن ملاحم و بطولات شبابنا الغيور زمان الاحتلال .

فقالت ملاك و العرق ينحدر من جبينها :

و هل أستطيع قراءة بعض قصصه الآن !!

فأجابها : بكل سرور ...

ثم أخذ بيده قلماً و واصل كتابته تاركاً ملاك و هي تتصفح الدفتر ...، و بدأت العناوين تمر كالبرق أمام عينيها ، و هـــــي مدققـــة النظـــر إلى الصفحات ، فقالت متسائلة :

و هل فتحتم قيود أسيرة زمان الحرب !! ألم تمـــر عليكـــم مثـــل تلـــك الواقعة ؟!

فأجابها بهدوء : أجل ، لقد وقعت لي أنا هذه الحادثة منذ سنوات قليلـــة، و لقد كتبتها في هذا الدفتر ، تحت عنوان :

ملاك يحمل قربة ماء ،فيتملك الأمل قلب و روح ، و عواطف ملاك ، ففتحت الدفتر مرة أخرى لتتأكد و يداها ترتجفان ، و مـــا أن وصلـــت الصفحة ، حتى تمالكتها الحسرة و اســـتيقظ الألم ، و الفـــرح معـــاً في روحها .. فأجهشت بالبكاء دون سيطرة لحواسها ، حتى ارتفعت حـــدة البكاء المر ، مما جعل الشاب ينتبه من كتابته ، فقال لها بصوت واطئ :

اجل ، أنني سمعت هذا البكاء في مكان ما ، و طـــافت بـــه الذكـــرى ...وكأنها ناقوسٌ يقرع في روحه ، فترك كرسيه ، و اقترب من ملاك ، و رغم حياءه حاول أن يهدئ من روعتها قائلاً :

أنني لم أنسى لحن هذا البكاء يا آنسه .

فرفعت ملاك رأسها و الدموع متناثرة حول وجهها و قالت بمرارة :

أتذكر القربة !! أتذكر الماء ! ، إنني مازلت أذكر ذلك الشعار القـــائل :

ـــ **يا مهدي أدركنى** ، فهل تذكره أنت ؟!

فابتسم الشاب ، و العجب محيطه و قال :

نعم إنني أتذكر ، وما نسيت ذلك أبداً ، ثم تمشى قليلاً و هو يحمـــد الله وأردف :

يا للصدفة .. أقطع من انك قرأتي قصتك الآن أليس كذلك !!

.. وفجأة دخل الأستاذ برفقة شيماء مسلّماً ، فقامت مـــلاك احترامـــاً ، وهي تجفف مدامعها ، فخاطبها الأستاذ قائلاً و الفرحة تعلوه :

لقد أخبرتني شيماء بخبر سار ، و لكن كان الواجب أن تخبرينا من أنـــك هنا يا ملاك .

فقال الشاب مستغرباً :

و هل اسمك ملاك ، شيء غريب حقاً ثم وجه حديثه للأستاذ و أردف :

لقد طلبت مني هذه الآنسة أن اطلعها على قصص الحرب الـــتي قمـــت و رفاقي بتأليفها ، و إذا بها ترى قصتها داخل هذا الدفـــتر ، ثم أشـــار بيده و أكمل :

و قد كتبت قصة هذه الآنسة تحت عنوان :

ملاك يحمل قربة ماء ، و ما كنت اعلم إن اسمها الحقيقي ملاك .

..ثم دعى الشاب الأستاذ و شيماء للجلوس ، فقال الأستاذ حســـناً يـــا ملاك، هذا هو الشخص الذي كان يجب أن تســـتجوبينه عـــن شعـــار **يا مهدي أدركنى** .

فابتسمت ملاك من صميم قلبها و أشرقت أساريرها و قالت :

نعم ألبتّه هو ما أُريد فعله ...فنظر الأستاذ إلى ساعته و قال :

لقد تأخرنا يا ملاك الجميع ينتظرك ، فرفعت ملاك رأسها و نظرت نحـــو الشاب نظرة لا يُعرف مغزاها ، ثم قالت باستحياء :

اسمي ملاك يا سيدي ، و لدّي العديد من الأسئلة ، و إنني أعلـــم علـــم اليقين من جوابها لديكم ، فهل تستطيعون مساعدتي .

فأجاب باعتداد وشهامة :

أي وقت تحبون ، إن مكان عملي هنا ، فأخرج كارتاً أخضـــراً براقـــاً ، كتب عليه بخط عريض بارز جميل ، رقم الهاتف و تحته اسم : **مهدي** .

وما إن تناولته ملاك و قرأتهُ ، حتى تملكها العجب و الإشـــراق فقـــالت بصوت مرتفع : وهل اسمك مهدي !!

فأجاب و الفخر يحتويه :

إنني لأشكر والداي مادمت حياً ، لأنهم أعزوني بهذا الإسم المبـــارك ، ثم أردف و بريق عينيه ينبض بالإيمان :

إنني مستعد لتقديم أي خدمة علميه .

و هكذا يخرج الجميع من القاعة مستودعين مهدي علـــى أمـــل اللقـــاء المبارك .

الإهداء

المصادر

١ــ القرآن الكريم

٢ــ الإتحاف بحب الأشراف — الشبراوي الشافعي

٣ــ إسعاف الراغبين — الشيخ الصبان الشافعي

٤ــ إكمال الدين — الشيخ الصدوق

٥ــ إلزام الناصب — علي اليزدي الحائري

٦ــ بحار الأنوار — العلامة محمد باقر المجلسي

٧ــ البرهان في علامات مهدي أخر الزمان — حسام الدين المتقي الهندي الحنفي

٨ــ البعث والنشور — الحافظ أبو بكر البيهقي

٩ــ البيان في أخبار صاحب الزمان — الحافظ محمد بن يوسف النوفلي القرشي الكنجي

١٠ــ البيانات — العلامة المودودي

١١ــ تأجيج نيران الأحزان في وفاة سلطان خراسان — عبد الرضا بن محمد

سلطان خراسان	
١٢ــ تاريخ الخميس	حسين بن الحسن الديار كري المالكي
١٣ــ تهذيب التهذيب	الحافظ العسقلاني
١٤ــ جامع الإمـــام أبـــو عيســـى الترمذي	
١٥ــ الجوع	فرانكلين برل
١٦ــ دائرة معارف القرن العشرين	فريد وجدي أفندي
١٧ــ دول الإسلام	شمس الدين أبو عبد الله محمـــد بن احمد الذهبي الشافعي
١٨ــ سفر الرؤيا	
١٩ــ سنن أبو عبد الرحمن النسائي	
٢٠ــ سنن أبي داود	
٢١ــ سنن الإمام أبو عبد الله بـــن ماجة القزويني	
٢٢ــ شرح الطريقة	الشيخ رجب بن احمد
٢٣ــ شواهد النبوة	الشيخ نور الدين عبد الرحمـــن بن قوام الدين المعروف بجـــامي الشافعي
٢٤ــ صحيح البخاري	
٢٥ــ صحيح مسلم	

٢٦ــ الصواعق المحرقة	شهاب الدين احمد بن حجـــــر الهيثمي الشافعي
٢٧ــ الطاقة وآفاقها المستقبلية	
٢٨ــ الطيالسي	
٢٩ــ العرف الـــوردي في أخبـــار المهدي	جلال الدين السيوطي
٣٠ــ عقائد الأمامية	الشيخ محمد رضا المظفر
٣١ــ عقد الدرر في أخبار المنتظر	الشيخ جمال الديـــن يوســف المقدسي الشافعي السليمي
٣٢ــ عمدة الطالب	جمال الدين احمد بن مهنا
٣٣ــ الغيبة	الشيخ الطوسي
٣٤ــ الغيبة	الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني
٣٥ــ الفتن	أبي عبد الله نعيم بن حماد
٣٦ــ الفتن والملاحم	ابن كثير
٣٧ــ فجر الإسلام	الدكتور احمد أمين المصري
٣٨ــ فرائد السمطين	إبراهيم بن محمـــــد الحمويـــني الشافعي
٣٩ــ فلاح السائل	علي بن موسى بن جعفر ابـــن طاووس
٤٠ــ الكافي	الكليني
٤١ــ كتاب المعرفة	

٤٢ــ منتخب الأثر	لطف الله الكلبايكاني
٤٣ــ مجلة المقتطف	العدد الثالث سنة ٥٩
٤٤ــ مجلة الهلال المصرية	العدد التاسع
٤٥ــ المحاكمة في تاريخ آل محمد	بهجت أفندي
٤٦ــ مرآة الجنان	أبو عبد الله اسعد بن علي اليافعي اليمني المكي الشافعي
٤٧ــ مسند الإمام ابن حنبل	
٤٨ــ مسند الإمام احمد	
٤٩ــ معراج الوصول إلي فضيلة آل الرسول	شمس الدين محمد بن يوسف الزرندي
٥٠ــ مفتاح كنوز السنة	وضعه باللغة الإنجليزية الدكتور ا – ي – فنسنك أستاذ اللغات السامية في جامعة لندن
٥١ــ نهج البلاغة	
٥٢ــ نور الأبصار	مؤمن بن حسين بن مؤمن الشبلنجي الشافعي
٥٣ــ هداية السعداء	شهاب الدين الدولة ابادي
٥٤ــ ينابيع المودة	الحافظ سليمان القندوزي الحنفي
٥٥ــ اليواقيت والجواهر	أبو المواهب الشيخ عبد الوهاب بن احمد بن علي الشعراني

المحتويات

الفهرس

الموضوع	الصفحة
بوابة الكتاب.....	٧
ماء يراق و فتاة تؤسر	٩
حقيقة لم تدرك	١٥
أجيال تلهج باسمك فمن أنت ؟	١٧
آمنوا بالمنقذ و لم يعرفوا اسمه	٢٠
السماء تفصح باسم المنقذ	٢٣
لأجلك ألّفوا	٢٩
السرداب بضاعة المغرضين	٣٣
غاندي بين القبر و الآثار	٤٠
معول الغلاة مهدم للدين	٤٣

ولادة تخرق الحجب ٤٧
هذه شمائلك فأين أنت ؟ ٥٥
لا تمت جاهلياً ٥٧
غائب سيحكم الأرض ٥٩
بئر يحتضن الوليد ٦٥
قصة مليكة ٦٩
المهمة العظيمة ٧١
أميرة بزي الجواري ٧٤
طيف في المنام ٧٥
أمنية يلبيها القيصر ٧٧
الرؤيا محل اللقاء ٧٩
و أشرقت الأرض بنور ربها ٨١
وليدٌ ينطق بالحكمة ٨٣
السماء تحتضن الوليد ٨٤
الإنسان سيعيش مئات و ألوف من السنين ٨٧
عقلك ميزان عمرك ٩١
قبرك تحفره بأسنانك ٩٧
مَنْ وراء الشيخوخة ؟ ٩٩
التفاتة مفيدة ١٠٠
صراع مع الشيخوخة ١٠٢
علم الشيخوخة ١٠٧

شمس و إن جلّلها السحاب ١١٥
الراديو يغذينا ١٢١
قيادة قاندي عبر القضبان ١٢٣
الانتظار أفيون الشيعه هكذا زعموا ١٢٧
حبل الكذب لقصير ١٣١
نداء الضمير ١٣٣
صفات المنتظرين ١٣٣
اسم القائم محل إجلال عند أهل البيت ١٣٧
ناقوس الخطر يدق ١٤٩
يخّرب بيته بيده ١٥١
ثقب الأوزون يهدّد الأرض ١٥٤
وقّت قنبلة موته ١٥٥
ضيفٌ يموت جوعاً ١٥٦
التكنولوجيا علّمت الأسماك كيف تفرُّ ١٥٨
سارق الماء ستحاكم أجياله ١٦٠
حيواناتنا الأليفة الشرهة ١٦٢
متى تصل لأرضنا المحتضرة..... ١٦٥
العقبات لم تمنعه من الوصول ١٦٨
الخسف في البيداء ١٧٤
المرحلة الأخيرة ١٧٥

القنطرة الأخيرة ١٧٧
لقاء في المتحف الحربي ١٨٥
ملاك يحمل قربة ماء ١٩٠